وقف السلام الخيري

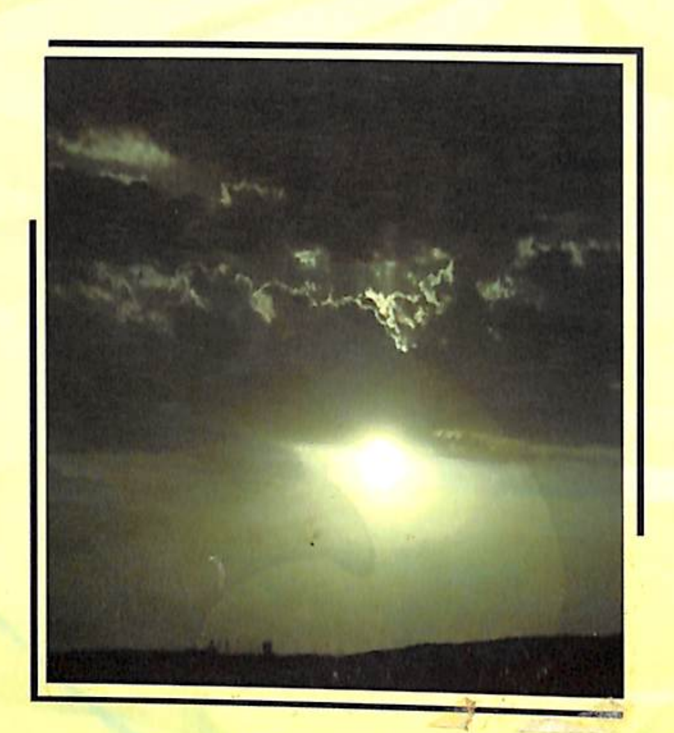


سلسلة دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في نظر المنصفين (٣)



الحركة الوهابية

ردٌّ على مَقَال للدكتور محمَّد البَهي في نَقدِ الوَهَّابِيَّة





بقلم المحقق

د. محمد خليل هراس

حققه وضبط نصه وعزا آياته وخرج أحاديثه ووثق نقوله وعلق عليه

أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبدالله التويجري

الحَركة الوَهـــابيّة

رَدٌّ علَى مقَال

للدّكتور محمَّد البَهي

في نَقــدِ الوَهّــابيّة

بقلم

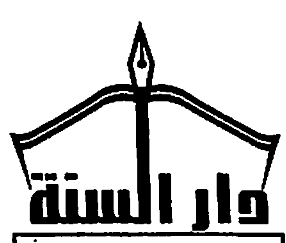
العلامة المحقق الدكتور محمد خليل هراس

حقّقهُ وضَبطَ نصَّه وعزا آياته وخرجَ أحاديثه ووثق نقوله وعلّق عليه

أحمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله التويجري

الطبعة الاولى

١٤٢٧ هـ - ١٤٢٨ هـ



للنشر
جوال
٠٥٠٣٢٤٨٦٠٠
فاكس
٢٠٩٢٠٩٢
ص.ب : ٢٦٠٩٣
الرياض ١١٤٨٦
المملكة العربية السعودية

Dar
Assunah
For Publishing
mobile
0503248600
Fax No.
2092092
P.O. Box . 26093
Alriyadh 11486
Saudi Arabia
Website
dar-assunah.com
E-mail
info@dar-assunah.com

نستقبل ملحوظاتكم وطلباتكم على العنوان التالي :

دار السنة للنشر

المملكة العربية السعودية – الرياض – حي لريان

ص. ب : ٢٦٠٩٣ – الرمز البريدي : ١١٤٨٦

جوال : ٠٥٠٣٢٤٨٦٠٠ – فاكس : ٢٠٩٢٠٩٢

Website : dar_assunah.com
E-mail : info@ dar_assunah.com

(ح) دار السنة للنشر ، ١٤٢٧ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

هراس ، محمد خليل

الحركة الوهابية : رد على مقال للدكتور محمد البهي في نقد الوهابية . / محمد خليل هراس ؛ احمد عبدالعزيز التويجري .- الرياض ، ١٤٢٧ هـ

٨٠ ص ؛ ٢٤ سم

ردمك : ٢-٠-٩٧٤٥-٩٩٦٠

١ - محمد بن عبدالوهاب بن سليمان ٢- الدعوة السلفية

أ. التويجري ، احمد عبدالعزيز (محقق) ب . العنوان

ديوي ٢١٧,٢ ١٤٢٧/١١٠٧

رقم الإيداع : ١٤٢٧/١١٠٧

ردمك : ٢-٠-٩٧٤٥-٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد:

فإن من حق الشيخ محمد بن عبدالوهاب علينا أن ننصفه؛ لأنه لم يقل، ولم يفعل، إلا ما يستحق الإنصاف، بل والإشادة به، والدعاء له.

إن الرجل– بأدب جم، وتواضع شديد، ورغبة خالصة فيما عند الله – كان يقول لنا في كل موقف: إنه لم يأت بجديد، ولم يبتدع شيئاً من عنده، وإنه متبع لا مبتدع، منطلق من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل، ومن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية والتقريرية، وأن مردّ كل آرائه وأقواله وأعماله إلى الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح.

فما بال بعض الناس يعمدون إلى ظلم هذا الرجل؟.

وأنا أحياناً أسأل – متعجباً – نفسي: لماذا يظلمونه؟.

وكيف يظلمونه؟ وما الذي يحملهم على ظلمه، ومنهجه هو منهجه الذي ألمحنا إليه؟!

أتراهم يرفضون منهج التشبث بكتاب الله وسنة رسوله ومنهج السلف الصالح، ويريدون منهجاً آخر يتجاوز القرآن والسنة. ويسقط عليهما

من الأهواء والانحرافات، ثم يزعمون – بعد ذلك – أن منهجهم منهج إسلامي!!.

إنه موقف يدعو إلى الحيرة.. ويبعث على البحث فيما وراء المواقف والكلمات!.

والحق: أن هذا هو الفرق بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وبين خصومه هداهم الله، الذين هاجموه، جهلاً بما يدعو إليه تارة، وعن علم تارة أخرى... وسواء أكان ذلك عن جهل أم عن علم، فإنه رفض لمنهجه الذي يتشبث فيه بالانقياد الكامل للكتاب والسنة، فأصحاب الأهواء والانحرافات يرفضون هذا الانقياد، حتى وإن جادلوا لكي يبقوا في دائرة الإسلام، محاربين كل من يحاول تبصيرهم بأنهم – عرفوا أو لم يعرفوا – يخرجون عن الإسلام؛ لأنهم يجعلون (العقل) مكان الوحي، و(الهوى) مكان النص، و (الضغوط العصرية) مكان الثوابت الإسلامية، ويريدون- أدركوا أو لم يدركوا- أن يدور الكتاب والسنة وراء تقلبات العصور، منقادين لا قائدين، يتكيّفان وفق متقلبات الآراء والأفكار والسلوكيات، حتى ولو خرجت على نواميس الفطرة... ولا يكيّفان الحياة وفقاً لما أنزل الله.

لم يكن عمل الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلا الجهاد، انطلاقاً من القرآن والسنة الصحيحة؛ كي تعود أمة التوحيد إلى التوحيد؛ لأن في ضياع عقيدة التوحيد أو تشويهها أو مزجها بأوشاب الشرك وأدرانه،

في عقيدة المسلم، ضياعاً لها في العالم الإنساني كله، فلا يبقى هناك دين صحيح يكون حجة على الناس يوم القيامة!!!.

وهذا مخالف لسنن الله.

وقد أحسن الشيخ العلامة الدكتور محمد خليل هراس في هذا الرد حين عرض هذه القضية على هذا النحو.

أجل: إن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى في كل رسائله، وفي كل دروسه، وفي كل جولاته، وحتى عندما واتته الفرصة، بعد رحلة جهاد طويلة، كي يجد الدولة التي تنصره وتحمل معه رسالة التوحيد، بالكلمة والفعل، وبالدعوة والعمل، في كل ذلك كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب داعياً إلى الاحتكام لكتاب الله وسنة رسوله، وإلى عودة قيادتهما لأمة الإسلام ومجتمعات المسلمين... وكان يرى أن هذه العودة الصحيحة تناسب العقل الصحيح، ولا تصادره، وأنها تفتح أمام المسلمين الممزقين المختلفين ثمرات الوحدة والتقدم، بل والتفوق على الحضارات المعاصرة والمناوئة لهم، كما كان شأن أسلافهم مع هذا الدين.

وبالكلمة القوية المؤمنة المنطلقة من قلب سليم مخلص لهذا الدين زاهد في عرض الدنيا، والمنطلقة من عقل أحسن فقه الإسلام فقهاً متوازناً شاملاً، وعاش الإسلام إيماناً وعبادة وعملاً وجهاداً بالكلمة والعمل... وبهذه الكلمة، ومن هذا المنطلق، قدم الشيخ محمد بن عبدالوهاب العقيدة الإسلامية الصحيحة، إنه لم يشغل نفسه بحروب مع أحد، وعلى العكس مما يظنه الذين لا يعرفون تاريخ الشيخ، فقد

ابتعد عن أسلوب المناوأة والتناطح؛ لأن هذا الأسلوب لا يفتح القلوب ولا العقول لتقبل الحق، بل يدفعها إلى العناد والمكابرة والدفاع عــن آرائها لمجرد الغلبة، فلم يجعل الشيخ همه الوحيــد الحــرب علــى أصحاب الطرق، ولا على المتعصبين للآراء المذهبية، ولا علــى القاعدة العريضة من الجهلة بدين الله الذين يفسدون الحياة بالمنكرات والمباذل، وهم يظنون أنفسهم صالحين، حتى وإن قطعــوا طريــق الحجيج، واستباحوا دماءهم وأموالهم..

ولم لا ؟ أليسوا يتقربون إلى صاحب ضريح من أجل تكفير سيئاتهم؟ أليسوا يتبركون بشجرة تكفيهم مؤونة العودة الصحيحة إلى دين الله، والاحتكام إليه، واجتناب نواهيه، والالتزام بأوامره؟!.

ومع كل ذلك، كان الشيخ واعياً حصيفاً بالمنهج الصحيح للتغيير، فقد أدرك أن هذه الأنواع من الانحرافات، إنما هي ثمار ونتــائج، وأن الحل لا يكمن في مقاومة الثمار الطبعية، والنتائج المنطقية، وإنمــا يكمن في اقتلاع الجذور وإزالة الأسباب.

ولن يتأتى ذلك إلا بالعودة إلى الإسلام الصحيح:

- الإسلام بعقيدته الصافية النقية.
- والإسلام بحضارته الإنسانية الربانية الأخلاقية.
- الإسلام الذي جعل من عبدة الأصنام فــي مكــة والمدينــة وجزيرة العرب، طليعة خير أمة أخرجت للناس فــي مــدة وجيزة تعد عجباً في مسيرة العقائد والحضارات.

ومن هنا عكف الشيخ على الجذور والبواعث، يرويها بالتوحيد والعمل، ويدفع الناس إلى تغيير ما في نفوسهم وعقولهم حتى يغير الله أحوالهم وظروفهم، وحتى يعودوا من جديد خير أمة أخرجت للناس.

فإذا كانت العقيدة هي الأساس، فإن اتباع السلف الصالح هو الطريق، والغاية هي الدعوة لإعلاء كلمة الله بأدوات قادرة على إقناع الناس في هذا العصر، في ضوء فقه رشيد بحقائق الدعوة وأساليب تبليغها.

وهكذا فقه الشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله تعالى – حقيقة الدعوة، وسبلها، وأهدافها، وطبق بسلوكه فقهه لها، فمكن الله لدعوته في الأرض، وأصبحت هي الدعوة الإسلامية الإصلاحية الوحيدة التي قامت على أسسها دولة ناهضة تساعد جميع المسلمين في الأرض، وتقدم نموذجاً معاصراً لتطبيق شريعة الله في العصر الحديث.

ولم يقف الأمر عند هذا المستوى، بل امتدت أصول الدعوة بجهود المؤمنين بها، وعلى رأسهم قادة الدولة نفسها، إلى أرجاء الأرض امتداداً يشبه امتداد أشعة الشمس في الصباح بعد ظلام دامس.

وقد أبصر أشعة الشمس من له بصيرة وبصر، وغفل عن إبصارها من أصاب عينيه بعض العمى ، واستطاع رؤية قوة دفعها من وفقه الله ، فحلل الأمور تحليلاً دقيقاً محايداً .

لقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى من أبعد الناس عن التكفير والتطرف والغلو ، وقد ورد في ثنايا هذا الكتاب الذي

يسرني أن أقوم بتحقيقه ، كثير مما يؤكد ذلك ، ومنه دفاع الشيخ عن نفسه في مواجهة خصومه الذين حاولوا أن يلصقوا به تهمة تكفيــر المسلمين المنحرفين ، يقول الشيخ رحمه الله : (و لا أكفر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام).

ويقول: (ومنها ما ذكرتم أني أكفر جميع الناس إلا مــن اتبعنــي، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجباً كيف يدخل هــذا عقــل عاقل، هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟.).

ويؤكد هذا الكتاب المفيد ابتعاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى عن التشدد والتكفير والغلو، تأكيده في آداب الداعي إلــى الله، على أن، الداعي لابد أن يتحلى بالرفق واللين تحقيقاً لقوله تعالى في مخاطبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (،،،).

وفي الضوابط التي وضعها الشيخ للأمر بالمعروف والنهــي عــن المنكر جعل الر فق في الصدارة من هذ الضوابط، وهو مؤشر آخر على منهج الشيخ في الدعوة، وقد حفل المنهــاج التربــوي للشــيخ بوسائل تربوية وأخلاقية وتعليمية توصل المعاني الإسلامية البعيــدة عن التشدد والغلو، والتي تميز به منهج الشيخ كله، دعوياً كــان أو تعليمياً أو تربوياً.

وقد جمع الشيخ في منهجه بين النقل والعقل، وقد يظــن ظــان أن المنهج السلفي طريق للجمود، والأمر عكس ذلك، فالتعصب للــرأي المذهبي والابتعاد عن الوحي نقلاً أو نصاً هو الجمود بعينه، فهــو يحول الرأي إلى عقيدة، والفكر إلى أصل، مع أنه اجتهاد بشري...

ويوضح الشيخ منهجه الذي يقوم على ضرورة الانطلاق من الدليل النقلي الثابت، لا على التقليد الأعمى الذي ساد الأمة الإسلامية عقوداً طويلة، ويقوم على فتح باب الاجتهاد القائم على الدليل النقلي، مـــع الاحترام الكامل لأئمة المذاهب واجتهـــاداتهم، شـــريطة ألا تكـــون اجتهاداتهم سداً أمام اجتهادات بقية الأئمة المؤهلين في بقية العصور، يوضح الشيخ بإيجاز وحسم، معالم هذا المنهج في العبارات التالية:

(ولا خلاف بيني وبينكم أن أهل العلم إذا أجمعوا وجب اتبـــاعهم، وإنما الشأن إذا اختلفوا: هل يجب علي أن أقبل الحق ممن جاء بــــه، وأرد المسألة إلى الله ورسوله مقتدياً بأهـــل العلـــم، وأنتحـــل آراء بعضهم من غير حجة، وأزعم أن الصواب في قوله، فأنت على هذا الثاني، وهو الذي ذمه الله وسماه شركاً، وهو اتخاذ العلماء أربابـــاً، وأنا على الأول أدعو إليه وأناظر عليه).

والمنهج نفسه طبقه الشيخ في تعامله مع قضايا المذهب الحنبلي الذي يأخذ بآرائه، ويلتزم في حدود ارتباطها بالنص ارتباطاً جازماً، أمـــا إذا ظهرت عدة آراء داخل المذهب فيما لو وجدوا روايتين مختلفتين عن الإمام أحمد، أو أقوالاً لأصحابه مختلفة، فيجيب الشيخ قائلاً:

(إذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه، فنقول في محـــل النـــزاع: التراد إلى الله ورسوله، لا إلى كلام أحمد، ولا إلى كلام أصـــحابه، وقولك إذا استدل كل منهما بدليل، فالدلائل الصحيحة لا تتناقض، بل يصدق بعضها بعضاً، لكن قد يكون أحدهما أخطأ في الـــدليل: إمـــا

استدل بحديث لا يصح، وإما فهم مـــن كلمـــة صــــحيحة مفهومـــاً مخطئاً).

كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى مجتهداً في مذهب الإمام أحمد، راداً إلى الكتاب والسنة، ومع ذلك يرميـــه الجامــدون بالجمود، وكان يؤمن بصلاحية الوحي لمواجهة كل العصور، ويثق في أن هذا القرآن دائماً يهدي للتي هي أقوم، وأن عقولنا يجـــب أن تسير في فلكه، لا أن يسير الوحي في فلكها، وقد عجز خصومه عن الارتفاع إلى هذا المستوى، فشغبوا عليه، شأن العاجزين وأصـــحاب الأهواء والمصالح في كل العصور، ولم يحاربهم مع ذلـــك، لكـــنهم حاربوه، ولم يحاول طردهم من ديارهم، لكنهم طـــاردوه، وجعلـــوه ينتقل من مكان إلى مكان يبحث عن الملجأ كما يبحث عن الرجـــل العظيم، الذي يكون ممكَّناً في الدنيا؛ ليضم الدين إلى دنياه، ويُقَــوِّم دنياه بدينه، ويحمي الدعوة وأصولها ورجالها، فلما وجده وعـــرف الصدق في كلامه، وقف بجانبه ووراءه، وبشره بالملك الذي تحقـــق فعلاً على نحو لم يكن متصوراً من قبل، ومع ذلك لم يطلب لنفســـه ملكاً ولا شراكة في الملك، ولم يرغب إلا فيما عند الله.

كان سلوكه- بشهادة الجميع- تطبيقاً لعلمه، ومع ذلك فما زال هناك من لا يتقون الله فيه، كما أنه ما زال هناك من لا يتقـــون الله فـــي أعراض الأنبيـــاء والصـــحابة، فكيـــف بالـــدعاة والمصـــلحين!!. وعندما تبنى آل سعود الكرام بدءاً من الإمام المجاهد محمـــد بـــن سعود – رحمه الله – الدعوة، وجعلوها قضية وجودهم، كان الشيخ رحمه الله سعيداً، وهو يشعر بأنه جندي بارز في دولة التوحيد، ولم

تأخذه العزة بالإثم، ولم يشغب كما يشغب رجال الـــدنيا، وأدعيـــاء النعرات والأيدلوجيات، ولم يتهارش كما يفعل بعض الدعاة للأسف تهارش الديكة؛ من أجل الحفاظ على وضع متميز مادياً ومعنوياً، بل لعله كان أسعد الناس، وهو يتفرغ لما نذر حياته له، وهي الـــدعوة، وكانت سعادته أبلغ، وهو يرى الدولة التي بايع إمامها تنمو صـــعداً، بينما كانت الدعوة الإصلاحية تتجاوز الجزيرة العربية، وتمشي مع الهواء لتصل إلى آفاق لم تكن لديه وسائل لتوصيلها، لكنهـــا كلمـــة التوحيد الطيبة التي تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فتضيء الطريق للباحثين عن الحق، وتقض مضاجع المنحرفين الذين يبغون عوجاً.

ومات الشيخ قرير العين رحمه الله تعالى.

وبذل الخصوم جهوداً ضخمة وحروباً دامية، وهزموا الدولة مؤقتاً، لكنها انبعثت بالدعوة من جديد؛ لأن دولة العقيـــدة لا تمـــوت، ولأن إشعاعات التوحيد والسنة لا تقضي عليها السيوف والمدافع، ولاسيما إذا كانت العقيدة نابعة من وحي الله، تقوم على الحق، وتهدي إلـــى الحق.

ولقد فوجئ الناس برجل مجرد من القوة المادية، في ظروف تكـــاد تكون معقدة ومن خلال ستين رجلاً لا غير، يتقدم بالعقيد الســـلفية، فيقيم دولة التوحيد من جديد، ويوحد الجزيرة العربية بالإسلام، ويبدأ من خلال عشرات الوسائل في نشر الدعوة، فتصل- برجال الملـــك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود رحمه الله إلى آفاق الأرض، ولا

تكاد مدينة في العالم الآن إلا وفيها عشــرات المســاجد والمراكــز الإسلامية.

وقد وصل المصحف إلى كل البلاد، وظهرت ترجماتــه الصــحيحة المعتمدة بمعظم اللغات الحية.

إنها الكلمة المخلصة التي تنتشر بعون الله وتوفيقه، على الرغم مــن كل العقبات، في كل أرجاء الأرض، لتقيم الحجة على الناس، وحتى تكون كلمة الله هي العليا.

هذه الدعوة السلفية- وسامح الله من يطلق عليها مصطلح الوهابية - مع التزامها بالقرآن والسنة الصحيحة ومــنهج الســلف الصــالح، ووضعها لهما في المكان الأول، وانطلاقهــا العقــدي والاجتهــادي منهما، هذه الدعوة مع ذلك، كانت الأقرب إلى الاجتهاد، وتحريــك العقل المسلم، وإبعاده عن مجال التعصب للمذهبيــة أو للمســلمات الموروثة التي لا أصل لها في دين الله.

لاشك أن الواقع والمشاهد في المملكة العربية السعودية اليوم، بكل ما يعكسه من تطور اقتصادي وزراعي وصناعي وتجــاري داخلــي وخارجي، ومن تطور علمي، على مســتوى المــدارس والمعاهــد والجامعات والمراكز البحثيــة، والمنجــزات الحضــارية العلميــة الأخرى.

هذا الواقع المشاهد خير دليل على قدرة الدعوة السلفية الموصــولة بكتاب الله وسنة رسوله على التعامل مع كل العصور، وعلى إثبات أن الإسلام يُصلح كل زمان ومكان، بل إن الفقه السلفي الرشيد يرى

أن منجزات الحضارة الإيجابية إنما هي فروض كفاية، كـــان مـــن الواجب أن يكون المسلمون الأسبق إليها، وبعضها فروض عين، مما يمثل حاجات ملحة للمسلمين، سواء لوجودهم، أم للدفاع عن ديـــنهم وأمتهم وأوطانهم الإسلامية.وأنا أعتقد أن الشيخ الدكتور محمد خليل هراس رحمه الله تعالى إنما كتب هذا الكتاب، خطاباً لكـــل النـــاس، ورسالة تعريف وود لجميع المسلمين.هو خطاب للمثقـــف المســـلم، وكل مسلم، تعريفاً بدعوة طالما ظلمها أعداؤها، وبرجل لـــه جهـــد عظيم طالما غمطه الغامطون، وقد آن أن يعرف المسلمون الحـــق، وأن يزنوا به الأقوال والرجال، وأن يلتقوا بالتالي علـــى المـــوازين الثابتة العادلة في دينهم لإنصاف الرجال، لا لأن دينهم دين يفـــرض عليهم ذلك فحسب، بل لأن النظم الدولية التي تســـعى لاستئصـــالهم جميعاً تحتم عليهم ذلك من جانب آخر.جزى الله الشيخ الدكتور محمد خليل هراس رحمه الله تعالى، العالم والمحقق، خير الجزاء، وبارك الله في جهوده المخلصة، وجعلها في ميزان حسناته بمنـــه وجـــوده وإحسانه.وسلام على عباده الذين اصطفى.

تعقيب مهـــم: ليس للوهابية ولا للإمام محمد بن عبدالوهاب،حركـــة خاصة بمفهومها الحركي المعاصر،بل دعوته اصلاحية تدعو جميع المسلمين إلى الرجوع للإسلام الصافي النقي،على ماكان عليه محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام.

المحقق

أحمد بن عبدالعزيز بن محمد بن عبدالله التويجري

جوال: ٠٥٠٤٨٩٢٧٩٠

ترجمة المؤلف:

- هو الشيخ العلامة المحقق – محمد خليل هراس – رحمه الله
- نائب رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية سابقاً
- من محافظة الغربية بجمهورية مصر العربية.
- ولد بقرية الشين – مركز قطور – محافظة الغربية (طنطا) – بمصر عام (١٩١٦م)، وتخرّج من الأزهر في الأربعينيات من كلية أصول الدين، وحاز على الشهادة العالمية العالية (الدكتوراه) في التوحيد والمنطق.
- عمل أستاذاً بكلية أصول الدين في جامعة الأزهر.
- أعير إلى المملكة العربية السعودية، ودرَّس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ثم أعير مرة أخرى، وأصبح رئيساً لشعبة العقيدة في قسم الدراسات العليا في (كلية الشريعة سابقاً / جامعة أم القرى حالياً) بمكة المكرمة.
- عاد إلى مصر، وشغل منصب نائب الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، ثم الرئيس العام لها بالقاهرة.
- وفي عام (١٩٧٣م)– قبل وفاته بسنتين– اشترك مع الدكتور عبدالفتاح سلامة في تأسيس جماعة الدعوة الإسلامية في محافظة الغربية، وكان أول رئيس لها.

- توفي رحمه الله تعالى عام (١٩٧٥م) عــن عمــر ينـــاهز الستين.

- كان رحمه الله سلفي العقيدة، شديداً في الحق، قوي الحجـــة والبيان، أفنى حياته في التعليم والتأليف ونشر السنة وعقيدة أهل السنة والجماعة.

- له مؤلفات عدة منها:

١) تحقيق كتاب (المغني) لابن قدامة، وقد طبع لأول مرة في مطبعة الإمام بمصر.

٢) تحقيق وتعليق على كتاب(التوحيد) لابن خزيمة.

٣) تحقيق وتعليق على كتاب(الأموال) لأبي عُبيد القاسم بـــن سلام.

٤) تحقيق ونقد كتاب (الخصائص الكبرى) للسيوطي.

٥) تحقيق وتعليق على كتاب (السيرة النبوية) لابن هشام.

٦) شرح (القصيدة النونية) لابن القيم في مجلّدين.

٧) تأليف كتاب (ابن تيمية ونقده لمسالك المتكلمين في مسائل الإلهيات).

٨) شرح (العقيدة الواسطية) لابن تيمية.

٩) الحركة الوهابية رد على مقال للدكتور محمد البهي في نقد الوهابية.



من مطبوعات الجامعة الاسلامية
بالمدينة المنورة ١٣٩٦ هـ
- ١٠ -

الحَـركة الوَهـَّـابيَّة

رَدٌّ علَى مَقَـالٍ
للدّكتور محـمّد البهي
في نقـدِ الوهـَّابيّة

بقـلم
الدكتور محمد خليل هراس

طبع في
مؤسسة مكة للطباعة والاعلام

صورة غلاف الكتاب

مقـــدمة

لأستاذنا الدكتور محمد البهي كتيب نشرتـــه « دار الفكر » ببيروت ، عالج فيه الفكر الإسلامي في تطوره وتتبعه في أدواره المختلفة بين الصعود والهبوط ، وبين الحركة والجمود .

وقد عقد في هـــذا الكتيب فصلاً عن الحركة الوهابية ، باعتبارها امتداداً للحركة الدينية الإصلاحية التي قام بها في القرن الثامن الهجري شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

وقد ملأ الدكتور الكبير مقاله عن الوهابية بمزاعم لا تتفق مع الحق ، ولا سند لهـا من الواقع ، ونقدها نقـداً جانب فيه الإنصاف ، ولم يراع فيه موازين البحث العلمي .

الصفحة الأولى من الكتاب

الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل:

وبعد فهذا مقال الدكتور محمد البهي عن الوهابية .

ويؤسفني أن أقول إنه لم يصب ولم يوفق في شيء مما قاله ، وإنما كان يبدو مدفوعاً إلى كتابته ، وكان التحامل هو الطابع العام للمقال من أوله إلى آخره .

ولقد أساء الدكتور بهذا المقال إلى نفسه أولاً حيث ورطها في أخطاء ظاهرة الشناعة ، ثم أساء إلى الحقيقة في نفسها حيث ظلمها وتجنى عليها .

فهل للدكتور ــ في ضوء تعقيبنا على مقاله ــ أن يراجع نفسه ويرجع عما قاله عملا بالمثل القائل إن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل. هذا ما نرجوه .

والله نسأل أن يهدينا جميعاً سبيل الحق والإنصاف . وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، إنه ولي التوفيق .

د . محمد خليل هراس
رئيس قسم العقيدة بالدراسات العليا
بكلية الشريعة بمكة المكرمة

الصفحة الأخيرة من الكتاب

مقدمة

لأستاذنا الدكتور محمد البهي[1] كتيب نشرته " دار الفكر" ببيـــروت، عالج فيه الفكر الإسلامي في تطوره وتتبعه في أدواره المختلفة بين الصعود والهبوط، وبين الحركة والجمود.

وقد عقد في هذا الكتيب فصلاً عن الحركـــة الوهابيـــة، باعتبارهـــا امتداداً للحركة الدينية الإصلاحية التي قام بها فـــي القـــرن الثـــامن الهجري شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وقد ملأ الدكتور الكبير مقاله عن الوهابية بمزاعم لا تتفق مع الحق، ولا سند لها من الواقع، ونقدها نقداً جانب فيه الإنصاف، ولم يـــراع فيه موازين البحث العلمي.

ومعلوم أن النقد النزيه لأي أمر من الأمور، هـــو الـــذي لا يغمـــط الحسنات بقدر ما لا يغفل السيئات، ولكن دكتورنا لـــم يـــذكر لهـــذه الحركة المباركة ولا حسنة واحدة، بل كل ما ورد في مقاله عيـــوب ومثالب، وإلقاء التهم جزافاً بلا حساب، مما يوحي بأنه كان واقعـــاً تحت تأثير عوامل معينة.

نعم، إن الذي يقرأ النقد الموجه من الدكتور البهي للحركة، ثم يوازن بينه وبين المبادئ الذاتية لتلك الحركة، وما قامت به في الماضي ولا

---

(١) هو الدكتور محمد كامل البهي، من الوزراء المصريين. ولد بمصر، وتخرج بالأزهر، ثم التحق بالجامعات الألمانية، وتأثر بأفكار جمال الدين الأفغاني. عاد إلى بلده مدرسا في كلية أصول الدين. وتولى وزارة الأوقاف، له العديد من المؤلفات. وكانت له جهود فيما يسمى بتطوير الأزهر. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣هـ. انظر مشكورا: موسوعة أعلام مصر ص ٤٠١، ومئة شخصية مصرية ص ٢٠٥-٢٠٧.

تزال تقوم به من إصلاحات ضخمة في مجــالي العقيــدة والعمــل، يعجب للمصادر التي اعتمد عليها الدكتور في نقده، بحيث لا يداخلــه أدنى شك في أنه استقى ذلك مما كتبه أعداء الحركة عنها.

وعهدنا بالدكتور الكبير أنه يسلك دائماً في كل ما يكتبه سبيل التحقيق العلمي، ويلتزم جانب الدقة والتمحيص، وقد تعلمنا منه ذلــك أثنــاء تتلمذنا له في مادة الفلسفة الإسلامية بالدارسات العليا بكلية أصــول الدين إحدى كليات الجامعة الأزهرية. وكان لي أنا شخصياً شــرف إشرافه على رسالتي التي حصلت بها على العالمية من درجة أستاذ وكانت بعنوان:" ابن تيمية السلفي".

ولكنه في هذا الفصل من كتابه خالف معهوده، فألقى القــول علــى عواهنه، من غير تثبت ولا تحقيق.

ونستأذن أستاذنا الكبير أن نناقش ما كتبه عن تلك الحركــة قضــية قضية، فإنه مهما كان عزيزاً علينا وحبيباً إلى قلوبنا، فإن الحق آثر عندنا حتى من نفوسنا، وقديماً ناقش أرسطو فلسفة أستاذه أفلاطون، وقال في ذلك كلمته المشهورة:

" أفلاطون صديق، والحق صديق، ولكن الحــق آثــر لــدينا مــن أفلاطون". [١]

---

(١) ومن هذا المنطلق قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في شرحه لمنازل السائرين للإمام الهروي وفي أثناء تعقبه لبعض أخطائه رحمه الله: (شيخ الإسلام حبيب إلينا والحق أحب إلينا منه. وكل ما عدا المعصوم فمأخوذ من قوله ومتروك. ونحن نحمل كلامه على أحسن محامله ثم نبين ما فيه). انظر مشكورا "مدارج السالكين بين منازل" إياك نعبد وإياك نستعين"(١/١٥).

أسس الحركة الوهابية

نشأة الحركة الوهابية:

لقد خصص سعادته الفصل الرابع والأخير من كتابه" الفكر الإسلامي في تطوره[1] " للكلام عن الحركة الوهابية، فأرخ لها من جانبين:

الأول: من جانب الأحداث السياسية وصلتها بالحكومة القائمة على رعايتها.

الثاني: من جهة أنها حركة دينية ترسمت حركة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ثم قال: " والذي يهمنا من حركة محمد بن عبدالوهاب هو الجانب الثاني بالذات".[2]

ثم قدم ترجمة مختصرة لمؤسس الدعوة– رحمه الله– فذكر رحلاته في طلب العلم إلى معظم العواصم الإسلامية مثل مكة والمدينة في الحجاز، والأحساء في منطقة الخليج العربي، والبصرة وبغداد فيما بين النهرين، ودمشق في سوريا، وأصفهان وقم في إيران، وذكر أنه أقام في هذه الأخيرة مدة تزيد على اثني عشر عاماً قضاها في الدرس والتعلم، وأنه بهذه الرحلة الطويلة ضم معرفة تجريبية واقعية

---

(١) وقد طبع هذا الكتاب طبعتين: الأولى في دار الفكر ببيروت سنة ١٣٩١هـ- ١٩٧١م. والطبعة الثانية في مكتبة وهبة بمصر سنة ١٤٠١هـ- ١٩٨١م. وعدد صفحات الكتاب أحد عشر ومئة صفحة، تحدث في الفصل الأول: عن تقويم الفكر الإسلامي في مرحلته الأولى. والفصل الثاني: التفكير لإعادة بناء المجتمع الإسلامي. والفصل الثالث: عن ابن تيمية. والفصل الرابع: عن محمد بن عبدالوهاب. والفصل الخامس: عن الحركة السنوسية.

(٢) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص٧٥.

عن الإسلام والمذاهب الإسلامية[1]، وأن شأنه في ذلك شأن أستاذه ابن تيمية من قبل وشأن أصحاب الحركات الإسلامية التي جاءت بعده، وأنه لما عاد إلى بلدته" العيينة" صمم على الجهر بدعوته فجهر بها، ولكنه صادف معارضة شديدة، فرحل من العيينة إلى " الدرعية" في شمال الرياض حيث يقيم الأمير محمد بن سعود الذي رحب به وأظله بحمايته، وهناك تعاهد الشيخ والأمير على أن يبقى الشيخ في مقر الأسرة السعودية، وفي مقابل ذلك يناصر الأمير دعوة الشيخ بقوة السلطان.

وظل الأمر على ذلك إلى أن توفي الشيخ رحمه الله في سنة ١٧٩٢م.

وبعد وفاة الشيخ والأمير تعاهد أبناء الأسرتين بالاستمرار في تنفيذ اتفاق والديهما، ولم يزل الوضع في صلة الدعوة الوهابية بالحكومة السعودية على ما كان عليه حتى الوقت الحاضر.

ثم يقول سعادته: " وبهذا التعاهد اجتمع لهذه الدعوة سلطان الحاكم وقوة الإيمان بها، وقلما اجتمع الأمران في حركة دينية، بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين سوى هذه الحركة، ومن هنا كان يؤمل كثيراً في نشاط هذه الحركة"[2]

(١) الصحيح المؤكد أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى لم يرحل لطلب العلم إلى بغداد ودمشق واصفهان وقم، بل إن المجمع عليه هو ذهابه إلى: مكة المكرمة والمدينة النبوية والأحساء والبصرة. وهذا دليل على قصور الدكتور البهي في معرفة إمام الدعوة وأنه أخذ أغلب معلوماته عن الدعوة من المخالفين لها.

(٢) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٧٧.

ثم أرخ سعادته بعد ذلك الجانب السياسي لهذه الحركة، فبين كيــف أفادت من اتساع حكم السعوديين وازدياد نفوذهم في شبه الجزيــرة العربية، حتى دخلت مكة والمدينة مع الفتح السعودي للحجاز، وبذلك تهيأت لها الفرصة في موسم الحج لشرح أسسها ونشر تعاليمها.

فانتشرت الدعوة عن طريق هذه اللقاءات التي كانــت تــتم بمكــة والمدينة في موسم الحج، حتى وصلت إلى الهند وأندونيسيا شــرقاً، وإلى السودان والشمال الأفريقي غرباً.

ثم تحدث عن اتساع نفوذ السعوديين خارج شبه الجزيــرة العربيــة حتى وصل عمان وزبيد في جنوبي اليمن، ووصل إلى قلب العراق وضواحي دمشق، مما أزعج الخليفة التركي في الإســتانة، وأثــار مخاوفه، فكلف واليه بمصر" محمد علي باشا" بحــرب الســعوديين وردهم إلى مقر ولايتهم الأول.

ثم يقول سعادته: " ولكن ما لبث النفوذ السعودي أن عاد بالتــدريج إلى قوته، وإلى سيطرته نهائياً على نجد والحجاز على نحو الوضع القائم منذ سنة ١٩٢٥م[١] ".

الحركة الوهابية تدعو إلى توكيد التوحيد:

ثم يبدأ الحديث عن الوهابية، كحركة دينية إصلاحية، فيرجع أســس الدعوة الوهابية إلى ثلاثة أنواع:

الأول: فيما يتصل بالأصول وهي العقيدة.

---

(١) انظر مشكورا: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٧٩.

وهنا يقول: " فإنها تدعو إلى توكيد التوحيد ونفي الشــرك، بحيــث تقصر العبادة على الله وحده".

وهذا كلام جميل وتصوير صادق مجمل، لهدف الدعوة فــي هــذه الناحية من التوحيد، أعني توحيد الإلهية الذي يقوم علــى إخــلاص الدين لله، والتوجه إليه وحده بجميع أنواع العبادات، ولهذا كان هدف الدعوة الأول هو القضاء على كل ما ينافي هذا التوحيد من مظاهر الشرك والوثنية التي كانت قد استشرت في العالم الإســلامي كلــه، واتخذت صوراً متعددة، كعبــادة المــوتى، والاســتعانة بأصــحاب الأضرحة، وتقديم النذور والقرابين لهم، والتبرك بالأحجار والأشجار والمغارات، والاعتقاد في السحر والتنجيم والعرافة وأنواع الشعوذة.

فجدت الدعوة في القضاء على ذلك كله، بإزالة ما كان الناس يفتنون به من القبور والحجارة، ثم ببيان حقيقة التوحيد الذي بعث الله بــه رسله، وأنزل به كتبه، وبيان الأمور المنافية له.

وكان كتاب" التوحيد" الذي ألفه مؤسس الحركة رحمه الله، يعتبر في ذلك الوقت دستوراً لدعاة الحركة يعلمونه الناس ويشــرحون لهــم فصوله ومسائله.

ثم يعقب الدكتور على ما تقدم بقوله:" ويفهم مــن معنــى القداســة والعبادة كل معنى يقوم على الاحترام ولــو كــان بحكــم الإلــف والعادة"[1].

---

(١) انظر مشكورا: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨١.

يعني بذلك سعادته أن الوهابين قد اشتطوا في تحديد مفهوم العبـــادة، فأدخلوا فيه ما كان من الاحترام والتقديس قائماً على الإلف والعادة.

ولم نسمع قبل اليوم أن الإلف والعـــادة يجعـــلان عبـــادة غيـــر الله مشروعة وسائغة، فإذا كان الناس قد ألفوا أن يقيموا القبـــاب علـــى أضرحة الموتى، وأن يستغيثوا بهم في الملمات ويـــدعوهم لقضـــاء الحاجات، ويتملقونهم بالنذور والقربانات، وأن يقفوا أمام مقاصيرهم خاشعين، وينادوهم متوسلين متذللين، فذلك شيء لا ضير فيـــه ولا ينافي توحيد العبادة- في نظر دكتورنا- لأنه من قبيل الإلف والعادة.

ولو صح منطق الدكتور في الإغضاء عن كل ما يفعل بطريق الإلف والعادة، لما كان هناك داع لإرسال الرسل، فإن أممهم إنمـــا كانـــت تفعل ما تفعل من ألوان الشرك والمعاصي على سبيل الإلف والعادة، وكذلك المشركون من العرب الذين أمر رسول الله صلى الله عليـــه وسلم بمقاتلتهم، ونزل القرآن بذمهم، وتوعدهم بالنار المؤبـــدة، مـــا كانوا يزاولون أعمالهم الشركية، من تقديم النذور ونحر الذبائح ومن الطواف والدعاء، إلا على جهة الإلف والعادة. ولهذا حكى القـــرآن عنهم أنهم كانوا إذا نهوا عن ذلك قالوا: { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ }.(الزخرف:٢٣).

الحركة الوهابية تدعو إلى سبيل ربها بالحكمة والموعظة الحسنة:

ثم يقول سعادته: " فبناء القبور على وجه الأرض، وزيارتها في انتظام، والوقوف عندها في خشوع، ليست منافذ ينفذ منها الإنسان إلى الشرك وعدم التوحيد بل هي شرك على الحقيقة"[1].

وهذا كلام عار عن الصحة، بل هو تجن على الحقيقة، ولا ينم إلى عن رغبة في التشويه والتشهير، فإن الذي تعتبره الدعوة شركاً على الحقيقة ليس هو بناء القبور على وجه الأرض ولا زيارتها في انتظام الخ.. بل هو ما يرتكب أثناء الزيارة لهذه القباب، من دعاء صاحب القبر والاستعانة به، وطلب الحاجات واستمداد البركات منه، ثم وضع النذور في صندوقه، وسوق الذبائح إلى ساحته والإهلال عليها باسمه، إلى غير ذلك مما لا يشك مسلم في أنه شرك صريح.

وأما ما ذكره الدكتور من بناء القبور وإشرافها وإقامة القباب عليها واعتياد زيارتها الخ.. فهو وإن لم يكن شركاً لكنه ذريعة إلى الشرك، لأنه يفضي إلى تعظيم هذه القبور وعبادتها، ولهذا حرمه الإسلام وأوجب تسوية القبور بالأرض، ونهى عن إشرافها وتجصيصها، واتخاذ المساجد والسرج عليها، كما في الحديث الذي رواه أصحاب السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما: " لَعنَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم زَائِرَاتِ القُبورِ والمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ".[2]

---

(1) انظر مشكورا: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨١.

(2) انظر مشكورا: ابو داود ح(٣٢٣٦) والنسائي (٩٥/٤) والترمذي ح(٣٢٠) وابن ماجه ح(١٥٧٥) وهو حديث صحيح.

وقد روى مسلم عن أبي الهياج الأسدي أن علياً رضي الله عنه قال له : " ألاَ أَبْعثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رسول صلى الله عليه وسلم أَنْ تَدَعَ قبراً مَشْرِفاً إلاَّ سَوَّيْتَه وَلاَ صُورَةً إلا طَمَسْتَها"[1] .

ولو لم تقم الدعوة الوهابية بهدم القبور المشرفة وتسويتها تطبيقاً لهذه المبادئ الإسلامية، بعد أن مكن الله لها في أرض الحجاز، لكانت – لا قدر الله – خائنة لهذه المبادئ، ولكانت دعوة نظر وكلام فقط.

ومن العجيب أنه في الوقت الذي يشجب فيه الدكتور ومن وراءه من القبوريين، الحركة الوهابية، وينعتونها بالتشــدد، يلومهــا أنصــار التوحيد الحق على الإسراف في التسامح، حين يرون بعض البــدع الشركية لا تزال ترتكب عند الحرمين الشريفين، من جانب هــؤلاء الذين عايشوا هذه البدع قروناً طويلة قبل أن يظلل الحكم الســعودي على الحجاز براية التوحيد المباركة، ولكن الدعوة دائماً تؤثر جانب اللين، وتدعو إلى سبيل ربها بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى تقطع الطريق على خصومها الذين يرمونها بالتزمت والجفاء.

الحيطة الواجبة لأعظم أصل في الإسلام:

ثم يقول سعادته: " وهنا في هذا المبالغة يكمن عامل الفرقــة بيــنهم وبين بقية المسلمين، فبينما هم يرون أنفسهم موحدين وأهل توحيــد، ويرون غيرهم ممن لا يسلك سبيلهم فــي المبالغــة مشــركين، إذا بغيرهم ينظرون إليهم على أنهم أهل تشدد وتزمت، وأصحاب ضيق في الأفق والفهم لهذا الأصل الإسلامي وهو أصل التوحيد"[2] .

---

(١) انظر مشكورا: صحيح مسلم ح(٩٦٩).
(٢) انظر مشكورا: الفكر الإسلامي في تطوره ص٨١.

والكلام هنا مع الدكتور في تحديد المبالغة التي يكمن فيهـــا عامـــل الفرقة بين الوهابيين وغيرهم من المسلمين، فهل إذا قامت الوهابيـــة بتنفيذ ما أمر به الشرع من هدم القبور وتســويتها صـــيانة لجانـــب التوحيد، ودفاعاً عن حماه المقدس، يعتبر ذلك مبالغة منها تســتحق عليها أن ترمى بالتشدد والتزمت، وتعد خارجة على بقية المسلمين؟

ألا يذكر الدكتور أنه درس فيما درس من أصول الفقه قاعدة تسمى: " سد الذرائع" تقول إن كل ما يفضي إلى محرم هو محرم مثله".

ومن أجل هذه القاعدة نهى النبي صلى الله عليه وسلم عـــن اتخـــاذ المساجد على القبور[1]، لما أن ذلك قد يكون ذريعة إلـــى تعظيمهـــا وعبادتها.

ونهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها[2]، لما في ذلـــك من التشبه بعبادها الذين يتحرون السجود لها في هذه الأوقات.

ونهى كذلك عن شد الرحال إلى مكان ما من الأمكنة بقصد التعبـــد والصلاة فيه، إلا إلى أحد المساجد الثلاثة الكبار:" المسجد الحـــرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى"[3] .

ونهى أن يقوم الناس بعضهم لبعض على جهة التعظيم[4].

---

(١) انظر مشكورا: الحديث السابق عن ابن عباس رضي الله عنهما.
(٢) انظر مشكورا: صحيح البخاري ح(٥٨١) وصحيح مسلم ح(٨٢٦).
(٣) انظر مشكورا: صحيح البخاري ح(١١٩٧) وصحيح مسلم ح(٨٢٧)
(٤) انظـر مشـكورا: البخـاري فـي الأدب المفـردح (٩٧٧) وابـو داود ح (٥٢٢٩)والترمـذي (١٢٥/٢) وهو حديث صحيح.

ونهى أصحابه عن الغلو فيه والمبالغة في مدحه فقال:" لا تُطْرُونـــي كما أطْرَتِ النَّصارى ابنَ مَرْيَمَ، إنَّما أنـــا عَبْـــدُهُ فَقُولُـــوا عَبْـــدُ الله وَرَسُولُهُ"[1].

ونهى عن اتخاذ قبره عيداً وقال:" صلُّوا عَلَـــيَّ حَيثُمـــا كُنْـــتمْ فـــإنَّ صَلاتكُم تَبْلُغُني".[2]

وقال للرجلَ الذي قال له: " مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ" :" أَجعلْتَني للهِ نداًّ؟ بل مَا شاءَ اللهُ وحدَهُ".[3]

ومن أجل سد الذرائع أيضاً، أمر عمر رضي الله عنه بقطع شـــجرة الرضوان التي بايع الصحابة تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية.

وقال مرة وهو يستلم الحجر الأسود: " إنِّي أعلم أنَّك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أنِّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك" [4] .

وعزل خالد بن الوليد من قيادة جيش المسلمين في الروم، في وقـــت كانت الآمال كلها معلقة به ليتمم ما بدأه من الانتصارات على الروم، لأنه خشي أن يفتتن الناس به.

فهل كان الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما فعلـــه مـــن ذلـــك مبالغاً؟

---

(١) انظر مشكوراً: صحيح البخاري ح(٣٤٤٥).
(٢) انظر مشكوراً: مسند الإمام أحمد (٣٦٧/٢) وسنن أبي دواد ح(٢٠٤٢).
(٣) انظر مشكوراً: مسند الإمام أحمد (٢١٤/١) وابن ماجه ح (٢١١٧). وهو حديث صحيح.
(٤) انظر مشكوراً: صحيح البخاري (٤٩٥/١) وصحيح مسلم (٩٢٥/١).

وهل كان عمر رضي الله عنه فيما عمد إليه من قطـــع الشـــجرة أو عزل خالد مبالغاً؟

فلماذا تنسب الوهابية وحدها إلى المبالغة، وهذه أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأفعال خلفائه الراشدين على ما قدمنا.

وعلى فرض أن الوهابية بالغت في ذلك، فإنها مبالغة محمودة كـــان من نتيجتها استئصال شأفة الشرك، واجتثاث جـــذور الوثنيـــة مـــن الجزيرة العربية، في الوقت الذي لا تزال فيه كل بلاد الإسلام تعاني من ذلك ما تتفتت على صخرته كل قواعد التوحيد والإيمان.

وإذاً فليست المسألة يا سعادة الدكتور مسألة ضيق في الأفق والفهـــم للتوحيد، ولكنها الحيطة الواجبة لأعظم أصل فـــي الإســـلام وهـــو التوحيد.

وأما ما ذكره سعادته من أن تشدد الوهابية في موضوع التوحيد قـــد تسبب في حصول الفرقة بينها وبين من يسميهم مسلمين فذلك أمـــر حتم، إذ لا يعقل أن يرضي الباطل عن الحق أبداً.

ولكن وزر هذه الفرقة لا يقع على الوهابية، فإنها تدعو كل المسلمين إلى الدخول في دين الله الحق، كما يصوره القرآن الكـــريم والســـنة المطهرة، بعيداً عن كل شوائب الانحراف والضلال.

ولا يجوز لأحد أن يطلب من الوهابية أن تجامل أو تداهن، لاســـيما في موضوع يتعلق بأصل الأصول في الدين وهو التوحيد.

بل هي مستعدة حينئذ لأن تكون وحدها في طرف، والدنيا كلها فـــي طرف، حيث لا مجال لمساومة أو مجاملة.

الجاهلية الأولى والجاهلية الثانية:

ثم يقول سعادته: " لأن زيارة القبور وإقامتها علـــى وجــه الأرض سوف لا يعيد الآن بحال، وضع الوثنية العربية الأولى علـــى عهــد الدعوة الإسلامية، ومن ثم لا وجه لخشية الشرك فضلاً عن وقوعه ممن يقيم القبر أو يزوره"[1] .

فانظر إلى أي حد يتجاهل دكتورنا الواقع الملموس، كأنه لا يرى ولا يسمع، وكأنه يعيش لا في دنيا البشر التـــي لا تــزال فـــي قرنهــا العشرين- قرن الذرة والصاروخ- تتمرغ في أوحال الوثنية علـــى جميع صورها ومظاهرها.

والعجب أن يصدر هذا الكلام من رجل كان مسؤولاً في يـــوم مـــن الأيام عن تلك القبور الشاهقة التي تزخر بها القاهرة وغيره من مدن مصر بل وقراها، ويعرف جيداً ما يرتكب عندها وحولها من أفانين الشرك ولوثات الوثنية مما ذكرنا بعضه آنفاً.

فهل يستطيع سعادته أن يدلنا على شيء واحد كانت تفعلـــه الوثنيـــة العربية الأولى وليس موجوداً في تلك الجاهلية الثانية؟

أم إن سعادته يعتبر هذه الأعمال وثنية إذا تُقُرِب بهـــا إلـــى الـــلات والعزى ومناة وهبل، ولكنها تنقلب توحيداً إذا تُقُرِب بها إلى المشايخ المقبورين.

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص٨١.

لقد كشف لنا كلام سعادته هذا عن لغز عسر علينا حله، وهو أنه حين كان وزيراً للأوقاف اشرأبت إليه أعناق أنصار التوحيد، وانتظروا منه أن يقوم بخطوة جريئة في الإصلاح، فيغلق على الأقل هذه الأضرحة ولا يسمح بزيارتها، ويلغي تلك المهرجانات الشركية التي تقام لأصحابها، ولكنه لم يصنع من ذلك شيئاً، وكأن الأمر لا يهمه ولا يعينه.

وثنية الأموات ووثنية الأحياء:

ثم يقول سعادته: " والوثنية التي يمكن أن توجد في القرن العشرين ليست وثنية الأحجار والأموات، إنما هي وثنية الأحياء أصحاب السلطان والنفوذ. ولا يقضي على هذه بالدعوة إلى هدم القبور وتحريم زيارتها، وإنما بتحقيق شعور المساواة بين الحاكم والمحكوم[1] .

وهذا ليس بصحيح، فإن وثنية الأحجار والأموات لا تزال قائمة فعلاً في كل مكان من الدنيا، ولا يزال الإنسان هو الإنسان لم يستطع أن يتخلص من سيطرة أوهامه أو فساد تخيلاته، رغم ذلك التقدم الهائل في العلوم والمخترعات.

ولعل سعادته يعرف أن أعلى الناس ثقافة في مصر، هم أكثر من غيرهم تعلقاً بالخرافات والأوهام، والمكابرة في ذلك مكابرة في شيء محسوس وواقع لا تليق بآحاد الناس فضلاً عن دكتورنا الفيلسوف.

---

(١) انظر مشكورا: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨١.

وأما وثنية الأحياء من أصحاب النفوذ والسلطان، فلا وجود لها بحمد الله في ظلال الوهابية، لأنها تحارب كل أشكال الوثنيـــة، لا فـــرق عندها بين وثنية الأحياء ووثنية الأمــوات، ولهــذا تعــيش الدولـــة السعودية التي تدين بالوهابية في ظل ديمقراطية حقة، لا يحس فيها المواطن بفرق بين حاكم ومحكوم، بل يعرف كل مواطن أن الحاكم إنما وضع في مكانه لمصلحة المحكوم.

فها هو مليك البلاد وعاهلها، يتصل بشعبه اتصـــال الأب الـــرحيم، ويجلس إلى المواطنين كل يوم خميس في قصر الحكـــم بالريـــاض، فيتوافدون للسلام عليه، وتقديم الطلبات والشكايات إليه، وهو لا يرى الحكم سيطرة واستعلاء، ولكن يراه رعاية ومسؤولية.

ومن قبل كان والده المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز، مثلاً عاليـــاً في الديمقراطية والشعبية، وقد كان لنا منه مجلس كل أسبوع، حـــين كنا ندرس بكليات الرياض، فيجلس بيننا متبسطاً، ويخوض معنا في شتى الأحاديث التي تهم الإسلام والمسلمين.

ويؤسفنا أن نقول إن الدكتور الذي يتحدث عن القضاء على وثنيـــة الأحياء بالنسبة للحركة الوهابية، عاش هو نفسه تلك الوثنية ومارسها فعلاً حين كان وزيراً للأوقاف، حيث كان يعامل مـــوظفي وزارتـــه بأقسى ما يُتصور من ألوان العسف والإرهاب.

مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين من الأئمة المهديين:

ثم يقول سعادته:" تنادي هذه الحركة باتباع مذهب السلف في صفات الله، وهو المذهب المعروف بالتفويض في كيفية اتصافه بهـــا، بعـــد

الإيمان بأنه سبحانه يتصف بها، وبــذلك لا تــرى رأي المعتزلـــة القائلين بأنها عين الذات وليست غير الــذات. كمـــا لا يــرون رأي الأشاعرة القائلين بأنها ليست غيراً وليست عيناً[1].

أما أن هذه الحركة تنادي باتباع مذهب السلف في صفات الله تعالى، فهو أمر واضح، بل لعلها الآن هي الحركة الإسلامية الوحيدة التـــي تتبنى هذا المذهب السلفي، وتعمل ما وسعها الجهــد علـــى نشـــره والدعوة إليه بمختلف الوسائل، لا سيما عن طريــق طبـــع الكتـــب والرسائل التي أُلفت في مناصرته قديماً وحديثاً.

وهو يدرس في كل مراحل التعليم بالسعودية، ولا يسمح لأي مذهب آخر بمزاحمته.

ولكن ما معنى قول الدكتور بعد ذلك إن هذه الحركة لا تــرى فـــي صفات الله تعالى رأي الأشاعرة ولا رأي المعتزلة.

فهل هذا عيب فيها أنها لم تأخذ في صفات الله بواحـــد مـــن هـــذين المذهبين المنحرفين، وأخذت بمذهب السلف الصالح من الصـــحابة والتابعين والأئمة المهديين، كما فعل ذلك من قبل شيخ الإسلام ابـــن تيمية وتلامذته.

ثم إن هذه الحركة لا تجعل من صفات الله تعالى مشكلة كمـــا فعـــل غيرها، ولا تجعلها موضع مناقشة جدلية. بل تأخذ فيهـــا بالبســـاطة المعروفة عن العقيدة الإسلامية الأولى، قبل أن تنشأ تلك التعقيـــدات التي أثارها المتكلمون.

---

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص٨١.

حَركة لم تقُمْ لِلهَدْم بل لِلبِنَاء

الآن وقد فرغنا من التعليق على نقد الدكتور لأسس الحركة الوهابية، نشرع – إن شاء الله – في التعليق على نقده للحركة ذاتها.

يقول سعادته:" يلاحظ فيما عرضنا لعناصر هذه الحركة، من الجهة الفكرية:

أولاً: أن حركة محمد بن عبدالوهاب في القرن الثامن عشر، قامت على أساس التمذهب بمذهب معين وهو مذهب أحمد ابن حنبل، ولأنها أسست على التمذهب بمذهب معين تعتبر امتداداً في التمسك بالمذاهب الإسلامية كل منها على حدة، وتمثل طوراً من أطوار التبعية لمذهب خاص[1] .

ويظهر من هذا أن الدكتور يعيب على الحركة الوهابية تقليدها لمذهب معين، وهو مذهب أحمد رحمه الله، فهل كان يريد من الوهابية مثلاً أن تنشئ في الفروع الفقهية مذهباً جديداً يضاف إلى المذاهب الأربعة المعروفة، فتكون بذلك مذهباً خامساً كما يرميها بذلك خصومها؟

إن الوهابية لم تقم للاجتهاد في الفروع، ولكنها قامت لتصحيح الأصول، فإن الفروع أمرها هين، وقد أجمعت الأمة على جواز التقليد فيها لمن لا يقدر على الاجتهاد ولا تتوفر لديه وسائله، إذ لا يعقل أن نطلب من كل فرد في الأمة أن يكون مجتهداً.

فقول الدكتور إنها أسست على التمذهب بمذهب معين غير صحيح.

---

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٤.

فهي لم تدع إلى التمذهب بالمذهب الحنبلي أو غيره، ولكن اتفــق أن مؤسسها رحمه الله كان حنبلياً في الفروع.

ولو كان مالكياً أو شافعياً ما تغير الوضع بالنسبة للدعوة، فإنها دعوة عامة لأتباع المذاهب الأربعة وغيرهم، هدفها تطهير العقائــد مــن الشرك ومحاربة الخرافات والبدع.

وبذلك لا تعتبر الدعوة- كما يدعي الدكتور- امتداداً فــي التمســك بالمذاهب الإسلامية المنفردة، ولا تمثل طوراً من أطــوار التبعيــة لمذهب خاص.

إذ لو كانت كذلك لاقتصرت على أتباع المذهب الحنبلي، ولم تحاول هداية الناس من أتباع المذاهب الأخرى[1] .

الخصومة المذهبية ليست من فعل هذا الحركة:

ثم يقول سعادته: " ثانياً إذ تنادي هذه الحركة بالرجوع إلى مــذهب السلف، لا تعني أكثر من إبعاد القياس والعرف، مع التزام نصوص القرآن والحديث الصحيح في الفقه في دائرة التشريع وبذلك تســتمر في مجال الخصومة المذهبية[2] .

وهنا يتناقض الدكتور مع نفسه، فبعد أن ادعى في التعليق الأول أن الحركة تتمذهب بمذهب معين، أعلن هنا أنها تنادي بالرجوع إلــى

---

(١) بل إن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى لا يقر التعصب المذهبي وأوضح ذلك بقوله: (إذا صح لنا نص جلي من كتاب او سنة غير منسوخ، ولا مخصص، ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب). انظر مشكوراً: الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية لجميع إخواننا الموحدين من أهل الملة الحنيفية، والطريقة المحمدية" جمع وترتيب الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى. وتعليق الشيخ محمد رشيد رضا ص ٣٥.

(٢) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص٨٤.

مذهب السلف، فتلتزم نصوص القرآن والحديث الصـــحيح، وتبعـــد القياس والعرف في دائرة التشريع.

ثم يتناقض مرة أخرى حين يدعي أنها بالرجوع إلى مذهب السلف، تستمر في مجال الخصومة المذهبية، وقد كان العكس هو الصحيح.

على أن الكلام كله سواء مقدماته أو نتيجته غير صحيح، فإن الحركة إنما نادت بالرجوع إلى مذهب السلف في العقائد التي هي الأصول، لأن السلف كانوا فيها على رأي واحد ضد أهل الأهواء من الخوارج والشيعة والقدرية والمرجئة والجهمية ونحوهم.

وأما في الفروع أو العمليات فلم يكن للسلف فيها مذهب خاص حتى تنادي الحركة بالرجوع إليه، كما أنها لم تستبعد القياس والعـــرف- كما يدعي الدكتور- فإن هذا مذهب الظاهرية. ولكنها فقـــط كانـــت تأخذ برأي أحمد رحمه الله، في تقديم النص وإن كان ضعيفاً علـــى القياس، وأما الاستمرار في مجال الخصومة المذهبية، فهو ليس من فعل هذه الحركة ولا هدف لها، وهي أبعد ما تكون عـــن التعصـــب المذهبي في مسائل الخلاف.

وحسبك دليلاً على أن جميع المـــذاهب الفقهيـــة تـــدرس الآن فـــي الدراسات العليا بكلية الشريعة بمكة المكرمة إلى جانب الفقه الحنبلي في مادة" الفقه المقارن".

كما أنه لا يوجد بين المذاهب الفقهية مذهب هو أوسع صدراً لقبـــول الآراء المختلفة من المذهب الحنبلي، إذ قلما توجد مسألة فقهيـــة إلا وفيها لأحمد رحمه الله روايتان أو ثلاث.

ولهذا يتسع المجال أمام علماء هذا المذهب لحرية الاختيار والترجيح الذي قد يتجاوز حدود المذهب، كما هو معروف عن شيخ الإســـلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله في اختياراتهما التي انفـــردا بها عن جمهور الحنابلة.

وكذلك العلامة ابن قدامة رحمه الله صاحب كتاب" المغني" درج في كتابه العظيم، على أن يعرض في المسألة الواحـــدة كــل المــذاهب بأدلتها، ثم يرجح بعد ذلك أقواها دليلاً ولو كان غير مذهبه الحنبلي.

فأين إذاً تلك الخصومة المذهبية في الحركة الوهابية وأين مظاهرها؟

الوهابية والتراث الإسلامي:

ثم يقول سعادته:" لم تقصد أول الأمر أن تكون حركة " عود علـــى بدء" على معتنى تصفية العصبية للمذاهب الفقهية ونخلها في التشريع والمعاملات، ولمذاهب العقيدة في تصور الله والاعتقاد به عن طريق علمي"(١) .

ومعنى هذا الكلام – فيما بلغه فهمي – أن الدكتور عفا الله عنه، كان يريد من الحركة الوهابية أن تشن الثورة على جميع المذاهب الفقهية التي استحدثت في الإسلام، فتقوم بنخل هذه المذاهب، لتأخذ منها ما تراه صالحاً، ثم تلغي ما بقي، وبذلك تكون قـــد صـــفت العصـــبية المذهبية.

والعجب أن يصدر مثل هذا الكلام الخطير من دكتور فيلسوف يؤمن بحرية الرأي، ويدعو إلى بقاء باب الاجتهاد مفتوحاً، لأن إغلاقـــه-

---

(١) انظر مشكورا: الفكر الإسلامي في تطوره ص٨٥.

كما ذكر في كتابه- قد أدى إلى الركود والتخلف وعدم القدرة علـــى مواجهة المستجد من أحداث الحياة.

إن الحركة الوهابية لو قامت- لا قدر الله – بمثـــل هـــذه الحماقـــة، لارتكبت أعظم خطأ في تاريخها، ولجلبت على نفسها نقمـــة العـــالم الإسلامي المتحضر كله.

وإذا كان الدكتور يرمي الحركة بالتعصب المذهبي، وهي لم تفعـــل ذلك، فبماذا كان يرميها لو قامت بمثل تلـــك المحاولـــة التخريبيـــة لتصفية مذاهب لها كيانها واحترامها، ولها أئمتها الكبار الذين أفنـــوا أعمارهم في الاجتهاد، ولها قواعـــدها فـــي التعليـــل والإســـتنباط والموازنة.

إن الفقه الإسلامي بما تضمنه من ثروة هائلة في التشريع، وبما اتسم به من مرونة وقدرة على تكييف الأحـــداث، ومواجهـــة متطلبـــات الحياة، يعد مفخرة من أعظم مفاخر هذه الأمة يشهد لهـــا بالأصـــالة والجدة في هذه الناحية التشريعية.

فكيف يراد من حركة إسلامية قامت للبناء لا للهدم، أن تقضي على هذا التراث الضخم، فتسجل بذلك قصوراً في النظـــر وضـــيقاً فـــي التفكير.

وكيف تتفق دعوة الدكتور إلى هذا التخريب، مع قوله في كتابه يمدح الحركة الفقهية وتطورها:" وكذلك الشأن بالنسبة للعامل الثالث وهو مواجهة أحداث الحياة وتطور المجتمع الإسلامي، فإن تفاعل الإسلام مع هذا العامل كان تفاعلاً خصباً منتجاً، وبرهن على مرونة الإسلام

في مبادئه بفضل الاجتهاد، وعلى سعة استيعابه للمستجد من مشاكل الحياة، فالفقه الإسلامي تدل كثرة مذاهبه ومدارسه على سعة المحاولة لتكييف الأحداث من وجهة نظر الإسلام".

" والخلاف الذي بينها في اعتبار بعض أصول التفقه والمراجع التي ترد إليها أحكام الحوادث، لم يكن إلا خلافاً ناشئاً عن رغبة المختلفين في ضرورة الحرص على بقاء الجماعة الإسلامية آخذة بالإسلام في منهاج حياتها اليومي".

وأما في مذاهب العقيدة في تصور الله عز وجل والاعتقاد به، فقد حققت هذه الحركة المباركة مبدأ: " عود على بدء" كما يريد الدكتور.

فقد عادت بالناس إلى العقيدة الإسلامية الأولى في بساطتها ونقائها، وحاربت كل ما أحدث في هذا الجانب العقدي من مذاهب ومقالات.

وكانت نشاطاتها في هذه الناحية امتداداً صحيحاً لحركة التصحيح الكبرى التي بدأها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

ليس تقليداً بل موافقة الحق للحق:

ثم يقول الدكتور: " رابعاً: الحركة الوهابية تقليد آخر، ليست تجديداً انطوى على استقلال في بيان قيمة المذاهب الإسلامية في العقيدة والتشريع في المعاملات وفقه العبادات.

هي تقليد لحركة الشيخ تقي الدين بن تيمية في ذلك، وليست استمراراً لحركته في نقدها، في هدمها وبنائها[1] .

ولست أدري لماذا يلح الدكتور في رمي هذه الحركة بالتبعية والتقليد، وعدم الابتكار والتجديد؟ مع أن التقليد ليس على الإطلاق مذموماً، ولا التجديد على الإطلاق ممدوحاً.

ثم لماذا شغف بكثرة التعداد لأخطاء الحركة، وما الذي يهدف إليه من ذلك، فإن هذا الذي ذكره" رابعاً"، هو الذي سبقه أولاً وثانياً وثالثاً!.

وأما نعته الحركة بأنها تقليد آخر، وليست تجديداً انطوى على استقلال في بيان قيمة المذاهب الفقهية، فهذا ليس من شأن الحركة ولم تقم لأجله كما قدمنا، وإنما قامت من أجل تجريد التوحيد وتنقيته من أكدار الشرك، وإحياء مذهب السلف في العقيدة.

وإذا كانت الحركة قد استفادت من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الجانب، فإن ذلك لا يعد تقليداً، بل هو من موافقة الحق للحق.

---

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٥.

كما لو قرأ الدكتور نظرية لأحد فلاسفة الغـرب فأعجبتـه واقتنـع بصحتها بعد دراسة وتأمل، فهل نسميه مقلداً لذلك الفيلسوف صاحب النظرية؟

إن معنى التقليد أن تؤخذ قضايا الأولين مسلمة من غير نظـر فـي الأدلة المثبتة لها، وأما الإيمان بها عن دليل واقتناع فلا يسمى ذلـك تقليداً.

ولو فرضنا ذلك تقليداً، فليس يعيب الحركة أن تقلد في الحـق، وأن تتأسى فيه بمن سبق.

وأما قوله إنها ليست استمراراً لحركة ابن تيمية في النقد أعنى الهدم والبناء، فليس بصحيح، فإن موقفها من المذاهب المنحرفة في العقيدة من معتزلة وجهمية وأشعرية ومرجئة الخ هو نفس موقف ابن تيمية من حيث الرد عليها والاشتغال بإبطالها.

وكذلك موقفها في الناحية الإيجابية، أعني الدعوة إلى إحياء مـذهب السلف وبيانه، وإقامة الحجج المثبتة له هو عين موقفها.

ولعل الدكتور لو قرأ ما كتبه مؤسس هذه الحركة وعلماؤهـا مـن بعده، لما رماها بما رماها به من الجمود والسلبية، ولتغيرت نظرته إليها وخفت قسوته في الحكم عليها.

مفخرة من مفاخر هذه الدعوة:

ثم يستدرك الدكتور على ما سبق بقوله:" ولكن إن كانت تعتبر تقليداً أو استمراراً لطور التقليد، فإنها تتميز بأنها صانت آراء ابن تيميـة

وعنيت بها في القرن الثامن عشر بعد مدة أربعة قرون لم تلق فيهـــا تلك الآراء العناية الكبرى التي لقيتها من جانب حركة الشيخ محمـــد بن عبدالوهاب[١] .

وهنا نلمح في كلام الدكتور شيئاً من التقـــدير والإنصـــاف للـــدعوة الوهابية، بسبب صيانتها لآراء ابن تيمية وعنايتها بإحيائها ونشرها.

وتلك مفخرة من مفاخر هذه الدعوة ســـتظل تـــذكر لهـــا بالعرفـــان والتقدير، فإن كتب شيخ الإسلام ورسائله كانت مطمورة تحت ركام الإهمال والنسيان، لا يسمح لها أهل البدع والإلحاد أن ترى النـــور، ولا أن تقوم بدورها الخطير في توجيه العالم الإسلامي نحو الطريق الصحيح.

بل كثيراً ما كانوا يحذرون من قراءتها ويقرنونها بكتب الفلاسفة في جواز الاستنجاء بها.

فلما قامت هذه الحركة المباركة[٢] أخذت تنقب عن تلك الثروة الهائلة التي خلفها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية رحمهما الله، وجد المسؤلون عن هذه الدعوة في إبراز هذه الكنـــوز بـــالطبع والنشر.

وكان لجلالة الملك عبدالعزيز– غفر الله له وأجزل مثوبتـــه.. اليـــد الطولى في هذا الباب، حتى أصبحت كتب الشيخين الجليلـــين تمـــلأ المكتبات العامة والخاصة.

---

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص٨٥..

(٢) مباركة لأنها امتداد لما كان عليه محمد صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام رضي الله عنهم، وهي رجوع للإسلام الصحيح وتربية على هذا الإسلام الصافي النقي.

وأخذت العقيدة السلفية التي كانت قابعة في زوايا كتب الكلام، حيث تنكر ولا تقدر، وتعتبر مذهباً للحشوية والعوام، أخـــذت مركزهـــا الصحيح في القيادة والتوجيه، بعد قراءة كتب هذين الإمامين اللـــذين لم يأت الزمان لهما بنظير في الجمع بين المعقول والمنقول،فكتبهما الآن هي المنارة التي تضيء السبيل لكل مستقيم الفكر بـــرئ مـــن الهوى والتقليد، وآراؤهما أصبحت محل التقدير العظيم فـــي جميـــع الأوساط والمحافل العلمية.

حركة امتازت بالإحياء والتجديد:

ثم يقول الدكتور: "وهي تعتبر قنطرة لآراء ابن تيمية مرت عليها إلى الأجيال القادمة، وتعضيد السلطة الرسمية السعودية أعطاها قوة البقاء والاستمرار[1]".

ونحن لا نوافق الدكتور على أن الحركة الوهابية كانت مجرد قنطرة عبرت عليها آراء شيخ الإسلام إلى الأجيال القادمة. بل إن هذه الآراء تعتبر جزءاً أساسياً من الجانب النظري لتلك الحركة بحيث لا يمكن الفصل بينهما أو اعتبار أحدهما أجنبياً عن الآخر.

وأما قوله إن تعضيد السلطة الرسمية السعودية هو الذي أعطى الحركة قوة البقاء والاستمرار فذلك حق لا ريب فيه.

فإن البيت السعودي المالك- حرسه الله – قد وفى بما عاهد عليه مؤسس الحركة، من حمايتها والدفاع عنها ضد أعدائها الكثيرين من المعطلة والقبوريين والصوفية.

ولكن يجب أن يضاف إلى ذلك القوة الذاتية للحركة نفسها. ثم جهود آل الشيخ- حفظهم الله- وعلماء الدعوة في توضيحها والدفاع عنها.

ثم يقول الدكتور:" ولهذا تعتبر الحركة الوهابية بعده الحركة الإسلامية التي حوت بذور النقد بصفة عامة وقدمتها إلى الحركات الإسلامية الأخرى في القرن التاسع عشر والعشرين، ومن أجل ذلك تعتبر تمهيداً لهذه الحركات، كما تعتبر نوعاً من " التقدمية" بالقياس

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص٨٥ .

إلى عصور التبعية المطلقة، لأن طابع النقد صاحبها وإن لم تسر فيه بخطوات واضحة".

وهنا أيضاً تبدو على كلام الدكتور مسحة من الإنصاف للحركة وتقدير الدور العظيم الذي قامت وتقوم به في إيقاظ الوعي الإسلامي، وتصحيح المفاهيم الإسلامية المحرفة، بحيث تعتبر أساساً لما قام بعدها من حركات تقدمية.

كما اعترف الدكتور بأنها حركة امتازت بالإحياء والتجديد، وقامت على أساس من النقد البرئ، ولكنا مع ذلك لا نوافقه على أن الحركة حوت بذور النقد لتقدمها إلى الحركات الإسلامية الأخرى فقط، فإن معنى ذلك أنها كانت مجرد ناقل أو وسيط، دون أن تقوم هي بإحياء حركة النقد وإنمائها.

والواقع أن هذه الناحية كانت من أهم ما عنيت به الحركة نظراً لكثرة المعارضين لها.

نعم يمكن القول بأن أسلوب النقد فيها لم يبلغ درجة النقد عند ابن تيمية من حيث الدقة والعمق، وذلك لأنها نشأت في جو تقل فيه العناية بالدراسات النقدية وأسلوب المناظرات[1].

(١) هذا الكلام فيه نظر، والمتأمل في ردود علماء الدعوة الإصلاحية على مخالفيها، يرى أن هناك مشاركة قوية من حيث الدقة والعمق، ومن نظر مثلا في ردود الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد عبدالوهاب المتوفى سنة ١٢٩٣هـ، يجد فيها شبهاً كبيراً في درجة النقد عند ابن تيمية من ناحية التأصيل وسعة الأفق، والعمق العلمي، والإحاطة بالمذاهب الإسلامية.

في هذا الكلام خطآن:

ثم يقول سعادته: " ومن المعروف أن ابن تيمية في هجومـه علـى الشيعة كان يقصد فرقة الغلاة منهم التي سماها الرافضـة، وكـان يوجه نقده على الأخص لجماعة الباطنيين أو التعليميين منهم. مـع ذلك لما ورثت الحركة الوهابية اتجاه ابن تيمية وسعت شقة الخلاف بين السنة والشيعة عامة، وغالت في تصوير الشيعة على الإطلاق، وأصبحت الفجوة كبيرة في النزاع المذهبي بين السنة والشيعة منـذ القرن الثامن عشر الميلادي، بل أصبحت أشد من ذي قبل، وكانـت زيادة الفجوة على هذا النحو أثراً سلبياً للدعوة الوهابية[١] .

وفي هذا الكلام خطآن: خطأ على ابن تيمية رحمه الله، وخطأ علـى الحركة الوهابية.

أما الخطأ على ابن تيمية ففي إدعاء أنه لم يقصد في هجومه علـى الشيعة إلا فرقة الغلاة منهم وهم الروافض لاسيما جماعة الباطنية أو التعليمية.

فإن ابن تيمية– رحمه الله – لا يقر التشيع فـي أي صـورة مـن صوره، غالياً كان أو معتدلاً، ويعتبره انحرافاً عـن جـادة الحـق، واتباعاً لغير سبيل المؤمنين.

لاسيما والشيعة كلهم يشتركون في مبادئ عامة بعيـدة عـن روح الإسلام، كالقول بالرجعة والتقية وعصمة الأئمة وسـب الصـحابة ونحو ذلك.

---

(١) انظر مشكورا: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٦ .

وأما الخطأ على الحركة الوهابية ففي إدعاء أنها وسعت شقة الخلاف بين السنة والشيعة، وغالت في تصوير الشيعة عامة دون تفريق بين غلاة ومعتدلين.

فنحن لا نعرف للحركة الوهابية موقفاً خاصاً من الشيعة غير موقف أهل السنة كلهم، اللهم إلا أن يكون ذلك الموقف الخاص بالحركة هو محاربتها لغلو الشيعة في آل البيت، ورفعها إيـــاهم عـــن مســـتوى البشر.

نعم إن الحركة الوهابية لم تتورط مع الشيعة في تقارب مزعوم كما تورطت" جماعة التقريب" في مصر- ولعل سعادة الـــدكتور كـــان عضواً فيها- لأنها لا تجد وجهاً للتقارب مع الاختلاف الجذري فـــي الأسس والمبادئ.

على أن الواقع نفسه يشهد بخطأ الدكتور فإن هناك مناطق كبيرة من المملكة العربية السعودية في الأحساء والقطيف وغيرهمـــا أغلبيـــة سكانها من الشيعة، وهم يلقون من حكومة جلالة الفيصل - حفظـــه الله- نفس العناية التي يلقاها سائر المواطنين فـــي نـــواحي التعلـــيم والصحة والزراعة والمواصلات، بلا فارق أصلا[1].

كما أن علاقة المملكة بالدول التي توجد فيها أغلبية شيعية كـــإيران وباكستان ولبنان علاقة طيبة ووطيدة.

---

(١) ومن أتى بعد الملك فيصل رحمه الله تعالى، الملك فهد بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى، حتى عهدنا الحاضر في عهد الملك عبدالله بن عبدالعزيز حفظه الله. والشيعة يلقون نفس العناية التي يلقاها سائر المواطنين في نواحي التعليم والصحة والزراعة والمواصلات، بلا فارق أو تفريق.

ولا تزال الشيعة كل عام تحج البيت الحرام بأعداد هائلة، ويلقون من المسؤولين نفس المعاملة التي يلقاها جميع الحجاج من أهل السنة.

تأثير الدعايات المغرضة:

ثم يقول سعادته:" يضاف إلى هذا الأثر السلبي لها في هذا الجانـب، أثر سلبي آخر أتت به في مسألة القبور وزيارتها".

فتشددها في تحريم شد الرحال إلى القبور– وهـو رأي أو عقيـدة سليمة في أصلها– حدا برجال السلطة السياسية القائمين على صيانة الحركة الوهابية ونموها، أن يمعنوا في إزالة القبور وانتهاك حرمة الموتى، وعلى الأخص انتهاك حرمة رجال من الصحابة كان لهـم أثر لا ينكر في الدعوة الإسلامية(١) .

ومن هذا النص يتبين جلياً أن الدكتور الفيلسوف كان واقعـاً تحـت تأثير الدعايات المغرضة وهو يكتب هذا الكلام.

وإلا فما معنى أن يرمى الحركة بالتشدد في تحريم شد الرحال إلـى القبور، مع اعترافه بأنها عقيدة سليمة؟ وما معنـى أن يريـد مـن الحركة أن تخون مبادئها في صيانة التوحيد فتسكت على هذه البدع الماثلة في هذه القباب العالية من أجل إرضاء العواطـف الحمقـاء، تسمح بشد الرحال إليها للاستغاثة والتوسـل، بعـدما جـاء النهـي الصريح عن ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم:" لا تشد الرحال إلا

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٧ .

إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى".
وهو حديث متفق عليه[1].

وأما الذي فعلته السلطة السياسية فإنه لم يزد على تنفيذ ما أرشد إليه علماء الحركة، من هدم القبور وتسويتها تنفيذاً لأوامر الشرع، وليس انتهاك حرمة الموتى كما يزعم الدكتور، فـإن الوهـابيين- ساسـة وعلماء- أعرف بأقدار هؤلاء الموتى وأشد احتراماً لهم من كثيـر ممن يتباكى على أطلال قبورهم.

إن الربط بين إزالة القبور وانتهاك حرمة الموتى، لم يقصد منـه - فيما يبدو- إلا الإثارة والتشنيع وتصوير الحركة بصورة تنفر منهـا القلوب.

ولست أدري لمصلحة من يقول الدكتور هذا الكلام الآن؟ مع أنه قد مضى على هذه العمليات ما يقرب من خمسين سنة.

حركة إصلاحية أم أكاديمية علمية:

ثم يقول سعادته:" ولو أن الحركة الوهابية سارت فـي نخـل الآراء الإسلامية في مذاهب الجماعة الإسلامية المختلفة، وساعدت علـى إيجاد حركة علمية تهدف لهذه الغاية، ثم ولت وجهها نحو الحضارة المعاصرة والفكر المعاصر، واتخذت منهما موقفاً يمليه عليها الكتاب والسنة، قبل ن يتحزب في تفسيرها المسلمون، وقبل أن يفرقوا دينهم شيعاً وأحزاباً..

(١) انظر مشكوراً: صحيح البخاري ح (١١٩٧) وصحيح مسلم ح (٨٢٧).

لو أنها فعلت ذلك لأفادت في بناء حركة علمية إسلامية ، ولأفــادت كذلك في تنوير الرأي الإسلامي بالمقومات السلبية التي تصاحبها بما قد لا يستسيغه ميزان الكتاب والسنة، ولأفادت ثالثاً في نهضة شعب عربي في الجزيرة العربية نهضة اجتماعية وتوجيهية، بحيث تصلح أن تكون عنواناً واضحاً لحكم حديث قام على أسس إسلامية[1] .

فأعجب لدكتورنا الكبير كيف يطلب من حركة إصلاحية دينية قامت لتحقيق أهداف محدودة، أن تقوم بما لا تستطيع أن تقوم به أكاديمية علمية.

فهو يكلفها أن تقوم لا بغربلة الآراء الإسلامية فحسب بــل بنخلهــا، وهو لا يكلفها ذلك بالنسبة لمذاهب معينة فقط بل في مذاهب الجماعة الإسلامية المختلفة.

ولست أدري لماذا تكلف الوهابية وحدها بذلك العمل الضخم، ولماذا لم يتوجه الدكتور الفاضل بمشروعه الخيالي إلى الأزهر مثلاً وقــد كان مديراً لجامعته، وكان بطل حركة التطوير فيه.

وأما مساعدتها على إيجاد حركة علمية فــإن الــدكتور يعــرف أن الحركة العلمية قائمة بالمملكة من أكثر من ربع قرن مضى.

وقد كان وهو مدير للبحوث يقوم باختيار أقوى الأســاتذة للتــدريس بكليات المملكة ومعاهدها، وقد تخرج على أيديهم العديد من طلابها.

---

(١) انظر مشكوراً: للفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٧ .

ويوجد بالمملكة الآن ثلاث جامعات[1] تضم كل واحدة منهـا عـدداً كبيراً من الكليات، وقد أنشئ قسم الدراسات العليا بكليـة الشـريعة بمكة(إحدى كليات جامعة الملك عبدالعزيز) يتكون من ثلاثة فروع:

١- فرع للعقيدة تدرس فيه الفرق الكلامية والأديان وتيـارات الفكر المعاصر، وتناقش فيه كل النحـل والمـذاهب مـن كلامية وفلسفية على غرار صنيع شيخ الإسلام ابن تيميـة رحمه الله.

٢- فرع للفقه وأصوله يدرس فيه الفقه المقارن بكل فروعـه، وتمحص فيه الآراء، ولا يتقيد فيه بمذهب معين بـل بمـا صح دليله وقويت حجته.

٣- فرع للكتاب والسنة يدرس فيه التفسـير دراسـة تحليليـة وتدرس فيه كل علوم القرآن والسنة المطهرة بكل ما يتعلق بها.

وقد تخرج من هذه الأقسام عدد من الطلاب بدرجة ماجسـتير وقـد وضع لائحة لإنشاء قسم للدكتوراه تنفذ من العام القابل إن شاء الله.

وقد أنشئ قسم آخر للدراسات العليا في اللغـة العربيـة وآدابهـا. وبالجملة فالحركة العلمية في المملكة قائمة بحمد الله على قدم وساق، وقد آتت وستؤتي أكلها كل حين بإذن ربها.

---

(١) من فضل الله عز وجل ومنه وكرمه، أنه يوجد الآن في المملكة العربية السعودية، ثلاثة عشر جامعة، وكل جامعة تضم عشرات الكليات الشرعية والعلمية والتقنية، وكذلك عدد كبير من عمادات الدراسات العليا (ماجستير ودكتوراه في شتى للعلوم والمعارف).

الحركة الوهابية والفكر المعاصر:

ولكن ما معنى قول الدكتور بعد ذلك:" ثم ولت وجهها نحو الحضارة المعاصرة والفكر المعاصر" وماذا عسى أن تستفيده حركــة دينيــة إصلاحية من الحضارة المعاصرة، وهي حضارة قائمة على أســس مادية بحتة سواء كانت في الشرق أو في الغرب.

ثم ماذا عسى أن تستمده كذلك من الفكر المعاصر وهو فكر إلحادي يقوم على مبادئ دارون وسبنسر وشاخت وسارتر؟

ثم ماذا عسى أن يكون موقفها من ذلك الفكر وتلك الحضارة علـــى ضوء الكتاب والسنة، إلا موقف الإنكار والاحتقار وبيان ما فيهمـــا من سموم ناقعة، وتحذير المسلمين من الاغترار ببريقهما.

ولست أدري كيف جمح الخيال بدكتورنا الفيلسوف حتى تصور دعاة الوهابية نخبة من الفلاسفة الكبار، فهو يطلب إليهم فوق نخلهم للآراء الإسلامية أن ينصبوا الموازين كذلك لفلسفات الغرب لتقويمها علـــى ضوء الكتاب والسنة.

إن هذه الفلسفات والأفكار المعاصرة التي يطلب الدكتور من الحركة أن تولي وجهها شطرها، ليس فيها ما هو ذو قيمة فكرية حتى تستفيد منه الوهابية أو أية حركة إسلامية أخرى، فإن الإسلام أغنى من كل هذه الفلسفات في الناحية الفكرية أو النظرية، فلا يحتاج أبداً إلى مـــا عند الآخرين، بل هم الذين يحتاجون إلى ما عندنا إذا أرادوا تقـــويم أفكارهم أو تصحيحها.

وأما في الناحية الصناعية والتكنولوجية فلا بأس أن نستفيد مما عندهم من ذلك لأنهم سبقونا في هذه الناحية.

إن بناء حركة علمية إسلامية لا يتوقف أبداً على مذاهب فلاسفة الغرب وأفكارهم، لأنها لا تصلح مقومات ولا مبادئ لأية حركة علمية إسلامية، حيث إنها مذاهب وأفكار قائمة على اللادينية البحت.

الحركة العلمية في المملكة السعودية:

ومع ذلك فالحركة العلمية في المملكة السعودية لم تغفل الإفادة من الحضارة والفكر المعاصرين، فقد أرسلت العديد من أبنائها إلى جامعات أمريكا وأوربا ليتخصصوا في فروع العلم المختلفة، وقد أتم كثير منهم دراسته ورجعوا إلى بلادهم حيث يقومون بالتدريس في جامعاتها، وبما تؤهلهم له تخصصاتهم من أوجه النشاط المختلفة.

وأما من حيث تنوير الرأي الإسلامي بالمقومات السلبية لتلك الفلسفات، مما لا يسيغه ميزان الكتاب والسنة، فهذا هدف من أهداف الدعوة الآن تسلك إليه مختلف الوسائل، فهي جاهدة في إيقاظ الوعي الإسلامي، وتحذيره من تلك الوافدات الأجنبية، وبيان ما فيها من سموم وانحرافات.

وأما قول الدكتور: " ولأفادت ثالثاً في نهضة شعب عربي في الجزيرة.. الخ"

فإن الواقع هو أبلغ رد على ذلك فالنهضة التي يعيشها الشعب العربي الآن في جزيرته، تسابق الزمن في سرعته وتتخطى الحواجز والمعوقات بسرعة مذهلة.

ومن رأي هذا الشعب من عشرين عاماً فقط، ثم رآه الآن، فإنـــه لا يكاد يصدق عينيه حين يرى تلك الجهود الضخمة التي تبـــذل فـــي جميع المجالات العلمية والإعلامية والصحية والاجتماعية، وحـــين يرى شباباً متفتحاً على الحياة يسير بخطى واسعة في طريق التقـــدم والبناء.

وبالجملة فهي نهضة شاملة تحـــارب التخلـــف فـــي كـــل صـــوره ومظاهره، وتقفز إلى الإمام ولكن في تؤدة وثبات، وبحيـــث يمكـــن القول إنها أوضح عنوان لحكم حديث قام على أسس إسلامية.

ومن العجب أن يصدر هذا الكلام منذ سنتين فقط، أي في عنفـــوان النهضة التي تشهدها المملكة السعودية الآن في ظل حكـــم الفيصـــل العظيم[1] .

فأين يعيش دكتورنا الكبير حتى لم يسمع بما سمع به القاصي والداني لا في البلاد العربية والإسلامية وحدها، بل في الدول الغربية كلهـــا من أوروبية وأمريكية.

حركة جاءت للتصحيح:

ثم يقول سعادته: " إن الحركة الوهابية تشددت فيما وســـع الخـــلاف بينها وبين الشعوب الإسلامية الأخرى، وبـــالأخص بينهـــا وبـــين الجماهير في هذه الشعوب[2] .

---

(١) وقد توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٩٥هـ، ومازالت حركة النهضة والتقدم في عنفوانها، وذلك بفضل الله عز وجل ورحمته ثم بتمسك ولاة أمر هذه البلاد بالإسلام الصافي النقي، والسير على منهاج محمد صلى الله عليه وسلم، والأخذ بكل ما يفيد حضارة هذه البلاد وازدهارها.

(٢) انظر مشكورا: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٧ .

وهكذا يرجع الدكتور مرة أخرى إلى تلك النغمة الكريهــة فيرمــي الحركة بالتشدد فيما وسع الخلاف بينها وبين الشـعوب الإسـلامية الأخرى.

فهل معنى هذا أن الحركة كان يجب عليها أن تسكت علـى البـدع والمنكرات تضييقاً لشقة الخلاف وإرضـاء للجمـاهير الإسـلامية؟ وحينئذ ما تكون مهمتها وما معنى كونها حركة؟

وكيف يراد من حركة قامت للتصحيح والتقويم، أن تتغاضى عمـا تراه من انحرافات تجنباً للخلاف؟

إن الله عز وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم:{ وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ }(البقرة: ١٢٠) وكذلك الجماهير لا ترضى إلا عمن يجاريها على أهوائها ويحبذ لها مألوفاتها.

وهذا يشبه قول بعض المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم: " أنك قد جئت بأمر خالفت به قومك وفرقت به جماعتهم".

أفكان يترك عليه السلام الدعوة إلى الحق والهدى حتى لا يخـالف قومه ولا يفرق جماعتهم؟

والعجب أن يصدر مثل هذا الكلام من دكتـور فيلسـوف يعلـم أن الدعوات لابد أن تثار في وجهها الخصومات، ولابد أن تقابل مـن أعدائها بكثير من السخط والاستياء، ولكن هذا لا يصلح مبرراً أبـداً لترك الدعوة أو التهاون فيها إبقاء على رضى الناس.

إن الحركة الوهابية تشددت في تنفيذ ما يجب تنفيذه، رضى الناس أم سخطوا، وهي لم توسع شقة الخلاف بينها وبين الشعوب الإسـلامية حباً منها للخلاف.

ولكن الخلاف كان أمراً ضرورياً بين حركة جاءت للتصحيح وإزالة البدع والمنكرات، وبين شعوب جمدت على ما هي عليه من ضلالات وانحرافات.

ثم ما معنى قول الدكتور: "وبالأخص بينها وبين الجماهير".

ومتى كان للجماهير وعواطفها الهوجاء رأي يجب أن يعتد به في ميزان الحق، ويترك من أجله ما أوجبه الدين وصرحت به النصوص؟

الحَركة الوَهــــَّــابيّة بَين المجَال النظَريّ وّالتطبيق العَمليّ

الدعوة وتفسيرها التطبيقي:

ثم يقول الدكتور:" إن دعوتها إلى القرآن والسنة صــاحبها تفســير تطبيقي عملي لها. أبعدها عن الوضع والهدف يوم أن نادى بها ابن تيمية.

صاحبها تفسير تطبيقي عملي لها يشير إلى أنها الدعوة إلى الحيـــاة الصحراوية على عهد الجماعة الإسلامية الأولى، وليست الدعوة إلى الإسلام الواضح كما يمثله القرآن والسنة الصحيحة، ذلــك الإســلام الذي يساوق الحضارة الصناعية، ويساوق المستوى الرفيع في الحياة الإنسانية، ويساوق التقدمية في بناء الجماعة بناء سليماً "أ.هــ. [1]

أما أن الدعوة صاحبها تفسير تطبيقي عملي فهذا صحيح، ولا خيــر في دعوة لا يصاحبها تطبيق ولا عمل، فإنها دعوة عقيمة ســريعة الزوال.

وأما ادعاء الدكتور أن هذا التفسير أبعدها عن الوضع والهدف يــوم أن نادى بها ابن تيمية فهذا غير صحيح، فإن شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – لو وجد في زمانه القوة التي تسنده وتــؤازره، كمــا وجدت دعوة شيخ الإسلام ابن عبدالوهاب– رحمه الله– لفعل مثل ما فعله أو أشد، ومع ذلك كان يقوم هو وأتباعه القليلون بما يتسع لــه

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٧ .

جهدهم من إصلاحات عملية، فالتفسير التطبيقي للدعوة كان يسـير وفق المنهج المرسوم لها.

وما يتوهمه الدكتور أو غيره من إساءة للتطبيق، أو غلو في التنفيذ، فهذا حكم العاطفة لا حكم المنطق، إذ لا يليق في المنطق أن تـرى الدعوة أشياء منافية للتوحيد ثم تسكت عليهـا إرضـاء لعواطـف المتعلقين بها.

وأما قوله إن التفسير التطبيقي للدعوة يشير إلى أنها الـدعوة إلـى الحياة الصحراوية على عهد الجماعة الإسلامية الأولـى، وليسـت الدعوة إلى الإسلام كما يمثله القرآن والسنة الصحيحة، فقد تضـمن كلام الدكتور هنا عدة أخطاء:

أولاً: وصفه حياة الجماعة الإسلامية الأولى بأنها حياة صـحراوية يعني حياة بداوة وتخلف، مع أنها كانت أرفع نمط للحياة البشـرية، وأرقى ما عرفت الإنسانية من حضارات، وحسبك منها أنها حضارة قادها القرآن العظيم، وشاد صرحها أعظم بانٍ عرفته البشرية، وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي ما عرفت الدنيا منذ نشأتها ضـريباً له في كل ما هو كمال إنساني.

ما هو الإسلام الواضح؟

ولست أدري كيف سمح الدكتور لنفسه أن يغمز الحيـاة الإسـلامية الأولى ذلك الغمز الذي لو جاء على لسان أحد الطاعنين في الإسلام من المبشرين والمستشرقين، لعددناه هجوماً وقحاً فكيف إذا صدر من دكتور مسلم؟ سامحك الله يا دكتور!

الثاني: رميه الجماعة الإسلامية الأولى بأنها لم تكن على الإسلام الواضح كما يمثله القرآن والسنة، فإذا لم يكن هؤلاء الرعيل الأول على الإسلام الواضح، وهم الذين عاصروا نزول الوحي، وتلقوه من فم الرسول صلى الله عليه وسلم غضاً طرياً، وسعدوا بصحبته وتربوا على يديه تربية لم تتح لأي جيل في البشرية في عهودها الطويلة.

نقول: إذا لم يكن هؤلاء على الإسلام الواضح فمن يكون إذا يا معالي الدكتور؟

الثالث: تفسيره الإسلام الواضح ذلك التفسير الغريب وهو أنه الذي يساوق الحضارة الصناعية الخ.. مع أن الإسلام ليس في حاجة إلى تفسيره بذلك، فإنه أعظم من كل صورة صوره بها الدكتور، إذ هو الطريق الذي لا طريق غيره لكل تقدم ولكل كمال إنساني، مادياً كان أو روحياً.

وإذا كان الإسلام الواضح في نظر الدكتور هو الذي يساوق الحضارة الصناعية، ويساوق المستوى الرفيع في الحياة الإنسانية، ويساوق التقدمية، فإن الدعوة الوهابية قد توفر لها ذلك كله، فليس بين شعوب الأرض الآن شعب يتمتع بكل ما أنتجته الحضارة الصناعية في كل المجالات مثل الشعب السعودي.

ومستوى الحياة الإنسانية فيها الآن يفوق مستواها في كثير من الدول التي سبقتها في الحضارة بزمان بعيد.

والمجتمع السعودي الآن هو الصورة الصحيحة للمجتمـع المسـلم الناهض المكافح الذي تختفي فيه الجريمة، فلا يوجد فيه عاطلون ولا متسكعون ولا رواد مقاهي ولا مدمنو مخدرات، ولا عصابات سطو، ولا استبداد حاكم بمحكوم، ولا مظاهر ذلة وخنوع ونفاق، إلى آخر ما يوجد في غيره من المجتمعات شرقاً وغرباً.

فإذا لم يكن هذا كله تقدمية فبم تكون التقدمية يا سعادة الدكتور؟

الإسلام والحضارة والصناعة:

ثم يقول سعادته:" إنها لم تستسغ حتى الآن من الوجهة النفسية عصر الآلة الحديثة، فضلاً عن عصر الآلية والتكنولوجيا القائمة، مـع أن الدعوة إلى القرآن والسنة قصد بهـا أولاً وبالـذات سـير الحيـاة الإسلامية في ظل تعاليم الإسلام وفي صحبة الحضـارة الصـناعية التي لابد منها الآن لحياة شعب يرتفع بنفسه عن مستوى الحياة الدنيا في المعيشة بما يكتنفها من ضعف وإذلال(١) .

وأقول إن معرفتي الشخصية بالدكتور البهي تجعلني أستغرب جـداً صدور هذا الكلام منه، إذ أن فيه من الخلط والعفوية ما لم نعهده في الدكتور الذي تعلمنا منه الدقة في التعبير والبعد عن المجازفة فـي إصدار الأحكام.

وإلا فما معنى قوله إنها لم تستسغ حتى الآن عصر الآلـة الحديثـة وهو يعني حتى صدور كتابه هذا الذي صدر منذ ثلاثة أعوام فقط.

---

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٨.

فمن في الدنيا كلها بطولها وعرضها يسمح لنفسه أن يصدر مثل هذا الحكم على دولة يعرفها العالم كله ويعرف مدى التقدم الذي أحرزته في استخدام الآلات الحديثة بكل أنواعها.

إن الطفل الآن في السعودية يقود السيارة ويعرف كل أجهزتها وقطع غيارها، وشباب السعودية الآن هو الذي يقوم بمعظم الأعمال الفنية في شركة آرامكو بالدمام[1] .

ولست أدري هل حكمه هذا حكم على الحركة نفسها أو على أتباعها المؤمنين بها، فإن كان يعني الحركة نفسها فهو غير صحيح، إذ ليس في مبادئها محاربة ما يستحدث من الصناعات أو ما يكتشف من الاختراعات، بل إنها تؤمن بقبول الحياة المادية للتطور، ما دام الكون كله بما فيه من قوى مسخراً للإنسان كما نطق بذلك القرآن، ولا ترى مانعاً من الاستفادة من كل تطور يحدث، مادام لا يتعارض مع المبادئ الأساسية للإسلام.

وإن كان يعني القائمين بالحركة والمؤمنين بها فهو غير صحيح أيضاً.

فإن استخدام السعوديين للآلات الحديثة بجميع أنواعها وانتفاعهم بكل ما أنتجته الحضارة، أمر يعرفه العام والخاص، إلا أن يكون دكتورنا

(١) شركة آرامكو السعودية أكبر شركة في العالم في مجال صناعة البترول ومشتقاته. والشيء بالشيء يذكر فأنا أعرف العم عبدالله بن ناصر بن إبراهيم بن محمد العبد الكريم حفظه الله ورعاه من أهالي مدينة حَرْمَة بالمملكة العربية السعودية وهو يعمل في هذه الشركة العملاقة من عام ١٣٦٧هـ-١٩٤٧م أي من قبل تسعة وخمسين عاما في مجال هندسة الميكانيكا قبل أن يعرف شباب كثير من الدول العربية والإسلامية الهندسة، وهذا دليل أن رجال السعودية أثبتوا جدارتهم، وعمق صلتهم بهذه الدعوة الإصلاحية، وأنهم في المقدمة مع الدول الحضارية، وهذا مشاهد لكل منصف واضح للعيان إلى عامنا هذا ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

الذي ما زال يظن أن السعوديين يعيشون حياة صحراوية يركبـون فيها الجمل ويستدفئون بالخشب ويطبخون على الأثافي.

أما قول سعادته إن الدعوة إلى القرآن والسنة قصد بها أولاً وبالذات سير الحياة الإسلامية في ظل تعاليم الإسلام فهـذا صـحيح. فـإن الإسلام إنما شرع منهجاً للحياة فلابد من إقامة الحياة كلهـا علـى أساسه إذا أريد أن تكون أفضل حياة.

ولكن ما معنى قول سعادته بعد ذلـك:" وفـي صـحبة الحضـارة الصناعية التي لابد منها الآن .. الخ". فما دخل الدعوة إلى القـرآن والسنة بالحضارة الصناعية وبناء حياة الشعب عليها؟

إن الحضارة الصناعية نوع من التـرف فـي أسـاليب المعيشـة، ومحاولة لتخفيف مشقاتها، وهذا شيء لا دخل له بالدعوة إلى تطبيق القرآن والسنة، فهو خلط لا معنى له.

صحيح أن الإسلام يبيح لمعتنقيه أن يأخذوا بأساليب الحياة الصناعية الحديثة، أما دعوى أن هذا لابد منه في الإسلام فهي دعوى لم نسمع أحداً من مفكري الإسلام قد ادّعاها قبل الدكتور. وما رأى سعادته لو أن شعباً مسلماً أحسن التطبيق لمبادئ الإسلام ولكنه اقتصـر فـي حياته المعيشية على الوسائل البسيطة وبعض الصـناعات البدائيـة الموجودة عنده، ولم يستورد شيئاً مما استحدث من الصناعات، ولا أخذ بأساليب الحياة العصرية، هل يعد هـذا الشـعب- فـي نظـر دكتورنا- خارجاً عن الإسلام؟

إقامة نظام الحياة كله على أساس الإسلام:

ثم يقول سعادته:" إن سير الحركة الوهابية مــن الوجهــة الفكريــة والعملية الآن، يسند اتجاهاً ليس هو الاتجاه صاحب الأثر الإيجــابي في نهضة شعب جزيرة العرب، ولا هو كذلك صاحب أثر إيجــابي في ربط طوائف الجماعة الإسلامية بعضها ببعض، ولا هو ثالثاً مما يدل على أن الإسلام دين لحكم الجماعة وإصلاح الفرد وأنه يستطيع مواجهة الأحداث وألوان الحياة المختلفة"[1] .

ولست أدري ما الذي يعنيه الدكتور بالاتجاه الذي يسنده سير الحركة فكراً وعملاً؟

ونحن لا نعلم لسير الحركة اتجاهاً من الوجهة الفكريــة إلا إبــراز التصور الصحيح للعقيدة الإسلامية، وإحياء المفاهيم التي انحرفــت بتأثير عوامل الهدم في الجماعة الإسلامية، وما أكثرها، وأمــا مــن الوجهة العملية فلا اتجاه للحركة إلا الحفاظ على التوحيد وصــيانته من أوضار الوثنية، وإقامة نظام الحياة كله على أساس الإسلام فــي كل المجالات من تشريع واقتصاد واجتماع... إلخ

وأما قوله إن هذا الاتجاه الذي تسنده الحركة، ليس هو صاحب الأثر الإيجابي في نهضة شعب الجزيرة، فلعل هذا وجهة نظره هو، وكل حر فيما يراه.

وأما الواقع الملموس فيقول: إن سير الحركة واتجاهها لم يعق أبــداً نهضة الشعب، ولا وقف حائلاً دون تقدمه. فمظاهر النهضة واضحة

---

(١) انظر مشكورا: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٨.

كالشمس يراها كل من له عينان، ويلمسها كــل مــن زار المملكــة وشاهد منجزاتها الضخمة في كل مناحي الحياة.

وكم نتمنى أن يقوم الدكتور بزيارة لتلك الــبلاد العزيــزة العتيــدة، ليلمس بنفسه أثر تلك النهضة المباركة في كل ما تقع عليه عيناه.

وأما قول الدكتور:" ولا هو كذلك صاحب أثر إيجــابي فــي ربــط طوائف الجماعة الإسلامية"، فإن أبلغ رد عليه هو ذلك الدور العظيم الذي يقوم به عاهل الجزيرة حفظه الله في جمع شــتات المســلمين وتوحيد كلمتهم، وإذكاء مشاعر الأخوة الإيمانية بينهم، وكان من أثر ذلك السعي المشكور والجهد المبرور، انعقــاد مــؤتمري الربــاط ولاهور[1]، ثم تلك المؤتمرات المتواصلة لوزراء خارجيــة العــالم الإسلامي، وما تتمخض عنه من قرارات تعود على المسلمين جميعاً بالإعزاز والتمكين.

ثم إنشاء "رابطة العالم الإسلامي" التي تضم ممثلين لمعظم الأقطــار الإسلامية، والتي تقوم مشكورة بإمداد المنظمات والهيئات الإسلامية بكل ما تحتاجه من كتب علمية ودينية وعقد المؤتمرات الدورية لتلك المنظمات بمكة، وكان آخرها منعقداً وأنا أكتب هذه الســطور. ثــم إنشاء الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة التي تضــم أبنــاء أربــع وثمانين دولة إسلامية، ثم اهتمام جلالته بإنشاء المراكز الإســلامية

(١) واستمرارا لتلك الجهود فإن المملكة العربية السعودية تستقبل في الخامس من شهر ذي القعدة سنة ستة وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة الموافق للسابع من شهر ديسمبر سنة خمس وألفين ميلادي مؤتمر القمة الإسلامية الاستثنائي في مكة المكرمة، نسأل الله جل في علاه أن يجمع كلمة المسلمين على الحق، وأن يؤلف بين قلوبهم بمنه وكرمه وإحسانه.

وتشييد المساجد في جميع أنحاء العالم، ومساعدة الجمعيات الدينيـــة والخيرية في البلاد العربية والإسلامية.

ونذكر الدكتور أيضاً بزيارة جلالته الأخيرة لعدد من عواصم الدول الإفريقية لتفقد أحوال إخوانه المسلمين فيها، وكيف نجح جلالته فـــي تحويل عدد كبير من هذه الدول عن التعامل مع إســـرائيل وإلغـــاء التمثيل الدبلوماسي معها.

وكذلك زيارة جلالته الأخيرة لفرنسا التي كسب فيها لقضية العـــرب لا تأييد فرنسا وحدها بل تأييد مجموعة دول أوربا الغربية.

هذا قليل من كثير مما قام به ملك الوهابيين يا سعادة الدكتور.

فهل لازلت بعد ذلك عند رأيك في أن الاتجاه الذي تســـنده الحركـــة ليس هو صاحب الأثر الإيجابي في ربط طوائف الجماعة الإسلامية بعضها ببعض، أم ماذا يا دكتور؟

تجربة الحكم الإسلامي في السعودية[١]:

وأما قول سعادته: " ولا هو ثالثاً لما يدل على الإسلام ديـــن لحكـــم الجماعة وإصلاح الفرد الخ"[٢] . فالضمير هنا طبعاً للاتجـــاه الـــذي تسنده الحركة، ويبدو لي أنه يريد به الحكم الملكي السعودي، وأنـــه حكم لا يدل على أن الإسلام صالح لحكم الجماعـــة ولا لإصـــلاح الفرد، ولا أنه دين يستطيع مواجهة الأحداث!

(١) ولمزيد من التوسع في هذا الموضوع، انظر مشكوراً كتاب" المجالس المفتوحة و المفهوم الإسلامي للحكم في المملكة العربية السعودية".
(٢) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٨.

وسعادته يقصد- بغير لف ولا دوران- أن تجربة الحكم الإســلامي في السعودية تجربة فاشلة، ولا أظن أحداً من أعداء السعودية أنفسهم يجرؤ أن يدعي مثل هذه الدعوى، لأنه يخشى أن يصــبح ضــحكة للناس، أو أن يرمى بالعته والجنون.

فإن الحكم في السعودية بشهادة الأعداء قبل الأصدقاء أصبح بحمــد الله، مضرب المثل في العدل والأمن والإســتقرار، بســبب إقامتــه للحدود الإسلامية، وكل ميزات الحكم الصالح لا تجدها متوفرة فــي مكان ما من أرض الله إلا في السعودية. وأما إصلاح الفــرد، فــإن العناية بتنشئة الأفراد تنشئة صالحة، فكرياً وخلقياً ووجدانياً، على أتم ما يكون.

وأما مواجهة الأحداث وألوان الحياة المختلفة، فإن الســعودية تكــاد تكون الدولة الإسلامية الوحيدة التي استطاعت أن تنتفع بما يســتجد من ألوان الحضارة، دون أن تذوب فيها كما فعلــت دول إســلامية كثيرة.

بل إنها وقفت منها موقف المسلم الذي يعرف كيف يستفيد مما عنــد الآخرين، دون أن يضر ذلك بدينه أو بأخلاقه أو بعاداته.

ثم يقول سعادته: " إن الفجوة بين الفكرة الأساسية للحركة الوهابيــة وبين التطبيق العملي في حياة المؤمنين بها فجوة واضحة.

إن مجال الفكر الوهابي والعقيدة الوهابية مجال القراءة والترديد إنه مجال الاصطناع والاحتراف بها في غير بناء وفي غير ملاءمة".

ولا نظن أن مثل هذا الكلام قد صدر من الدكتور وهو فـــي حالـــة اتزان أبداً. بل لابد أن يكون قد كتبه تحت حالة انفعالية شديدة. فلقد بدأ فيه كثورٍ هائج لا يقذف خصومه بالكلمات فحسب بل بـــالطوب والحجارة.

إنه كلام كان يجب أن يحاكم عليه الدكتور وأن يتحمل تبعته وعقباه.

إنه يرمى الوهابين أولاً بالنفاق وأنهم يقولون ما لا يفعلون، ويتخذون من الدعوة شعاراً لا أثر له في التطبيق العملي والحياة الواقعية.

ثم يرميهم ثانياً بالجهل وأنهم يقرعون مـــا لا يفهمـــون، ويـــرددون عبارات لا يعرفون مدلولاتها.

ثم يرميهم ثالثاً بالتسول واتخاذ الدعوة مجالاً للاحتراف والتأكل بها، أليس كذلك يا دكتور؟

منهج فكر وخطة حياة:

ولكن الحقيقة التي حجبها الغضب والانفعال عنك، على عكس مـــا تقول تماماً في اتهاماتك الثلاثة، فلا توجد فجوة أصلاً بين المجـــال النظري للحركة الوهابية وبين التطبيق العملي للمؤمنين بها، بـــل لا نعرف حركة إسلامية كانت أمينة على مبادئها وملتزمة بها في مجال التطبيق مثل الحركة الوهابية، ولعل هذا هو الذي ضمن لها البقـــاء والرسوخ، فقد أصبحت منهج فكر وخطة حياة وجزءاً مـــن كيـــان المؤمنين بها، ولم يكن مجال الفكر الوهابي والعقيدة الوهابيـــة هـــو مجال القراءة والترديد كما يدعى الدكتور، بل هو مجال الفهم السليم والإيمان الواعي والدعوة الصادقة.

ولقد ظهر في حقل الدعوة علماء لهم وزنهم في رجاحة الفكر وفصاحة القول وجودة التأليف، وكذلك لم تكن الوهابية في يوم من الأيام صنعة ولا احترافاً، بل كانت دعوة رجل تجرد من كل هوى وعصبية، ثم قام بها مخلصاً لربه لإنقاذ أمته لما تردت فيه من ردغات الضلال.

ثم حملها من بعده الأمناء عليها من أبنائه وأحفاده وتلامذته وأنصاره، وكان السيف السعودي من ورائهم يشد أزرهم ويحوط حركتهم.

وكان هذا من لطيف صنع الله لهذه الحركة، أن جمع لها السيف والقلم واللسان، فآتت أكلها شهياً، ومضت إلى غاياتها قدماً، لا يعوقها استبداد حاكم ولا عسف سلطان.

والعجب من الدكتور الذي يقسو على الوهابية في نقده إلى حد الإقذاع، لم نره كتب ولا مرة واحدة ضد خصومها من القبوريين والصوفية ونحوهم، بل يلوم الوهابية على أنها لم تسع للتقارب معهم.

فأي منطق هذا يا دكتور؟

ثم يقول سعادته:" أما حياة الجماعة الوهابية فإنها على نحو حياة أية جماعة إسلامية أخرى تسير في عزلة عن الفكر والآراء الإسلامية، وتخضع في تحركها وفي سيرها إلى عوامل مرددة بين اتجاهات شرقية وأخرى غربية وبين عادات وتقاليد لا يحددها مصدر واحد".

والدكتور هنا يرمي كل الجماعات الإسلامية، بمــا فيهــا الحركــة الوهابية، بأنها تسير في عزلة عن الفكر والآراء الإسلامية.

ولست أدري ما الذي يعنيه بالفكر والآراء التي تعــيش الجماعــات الإسلامية في عزلة عنها؟ هل يعنـــي بهــا مــثلاً آراء المتكلمــين والفلاسفة والصوفية، تلك التي شوهت جمــال العقيــدة الإســلامية وأخرجتها عن نقائها وبساطتها، وجنت عليها بتلك التعقيدات الفكرية والشطحات الصوفية.

وإذاً فما حاجة الجماعات الإسلامية إلى تلك الفكــر والآراء العفنــة لكي تتصل بها وتعيش عليها؟

وإن عنى بها الأفكار السليمة والآراء المستقيمة التي تمخضت عنها عقول لم تتحرف ولم تفسد بالهوى والتقليد الأعمـــى، مثـــل أفكـــار الشيخين الجليلين ابن تيمية وابن القيم رحمهمـــا الله، فـــلا شـــك أن الحركة الوهابية لا تسير في عزلة عن هذه الفكر والآراء، بل هـــي على صلة تامة بها.

هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه:

وأما قوله إن الحركة تخضع في تحركها إلى عوامل مــرددة بـــين الشرق والغرب فاتهام باطل لا أساس له، فإن هذه الحركة لم تخضع طول عمرها، ولن تخضع إن شاء الله، فيما بقي من عمرها، لأيـــة عوامل بعيدة عن الإسلام شرقية كانت أو غربية.

وكذلك لا تعرف من العادات والتقاليد إلا ما يقره الإسلام.

وبالجملة فلا مصدر لهذه الحركة في جميع اتجاهاتها إلا شيء واحد لا ترديد فيه، هو الوحي النازل من السماء قرآناً كان أو سنة، فهـــي لا تنحرف عنه لا شرقاً ولا غرباً، متمثلة دائماً قول الله تعالى مـــن سورة الأنعام:{وَأَنَّ هَـــذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ }(الأنعام:١٥٣)

ثم يقول سعادته:" وكان المؤمل في معانقة السلطة الرسمية لهـــا أن تتميز عن أي حركة إسلامية أخرى بالتطبيق العملي، وفقاً للفكـــرة الأصلية السلبية والإيجابية معاً. وأن تكون حياة الجماعة التي آمنت بها عنواناً تتجلى فيه فكرة الداعي كما آمن بها وتركها من بعده".

وهذا الذي يؤمله الدكتور هو الواقع فعـــلاً، فـــإن معانقـــة الســـلطة الرسمية للحركة قد حماها من العواصف الرديئة التي قد تتعرض لها الجماعات الإسلامية الأخرى.

فاستطاعت الحركة في ظل هذه الحماية أن تسير بخطوات ثابتة نحو هدفها، وأن يكون تطبيقها العملي متناسقاً مـــع الفكـــرة الأساســـية للحركة، وأن تكون حياة الجماعة التي آمنت بهـــا عنوانـــاً صـــادقاً للمبادئ التي أعلنها مؤسس الحركة- رحمه الله- وآمن بها، ولم يقع فيها خلف أبداً، لا بين المجال النظري والتطبيق العملـــي، ولا بـــين حياة الجماعة ومبادئ الداعي، كما يقع في بعض الجماعات الأخرى بسبب الضغط الواقع عليها من قبل السلطات.

أكبر عملية بناء علمي في هذا العصر:

ثم يقول سعادته: " إن التآخي بين تعاليم المذهب الوهابي والسلطة الزمنية في المملكة العربية السعودية طبقاً للعهد الذي وقع بين الشيخ والأمير سنة ١١٥٧هـ كان يحتم إبعاد الثنائية في التعليم في هذه المملكة وتوزيعه بين ديني ومدني[١]".

والواقع الذي خفي على الدكتور أنه لم يكن هناك ثنائية في التعليم، بل تعليم نظامي، منذ وقع العهد بين الشيخ والأمير -رحمهما الله- إلى أن أنشئت أول مديرية للتعليم سنة ١٣٤٤هـ، أي بعد نحو سبعين ومائة سنة من توقيع العهد المذكور.

وكان التعليم كله في تلك الحقبة دينياً يتلقاه الطلبة على الشيوخ في المساجد على غرار ما كان موجوداً في مصر بالنسبة للأزهر وبعض المساجد الكبرى، ثم أنشأت مديرية المعارف بعض المعاهد النظامية في مكة والرياض وبعض المدن الكبرى في نجد والقصيم مثل عنيزة وبريدة والمجمعة وشقراء.

وكانت تستجلب لها الأساتذة من الأزهر أيام أن كان سعادة الدكتور مديراً للبحوث، وظلت الحال على ذلك إلى أن أنشئت وزارة المعارف سنة ١٣٧٣هـ.

ولم يكن هناك وقتئذ سوى مدرستين ثانويتين إحداهما بجدة والأخرى بمكة، فاضطرت الوزارة لكي تلحق بركب الدول المتحضرة أن تجد

(١) انظر مشكوراً: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٨٩.

في إنشاء المدارس وإدخال العلوم الحديثة على مناهجها إلى جانب المواد الشرعية والعربية.

ومع ذلك احتفظت بالمعاهد التي كانت قد أنشأتها مديرية التعليم لكي تمد الكليات بحاجتها من الطلبة.

وكان سير الوزارة في هذه السبيل ركضاً شديداً بل قفزاً، حتى استطاعت في مدى عشرين سنة فقط أن تنشئ ألفي مدرسة في مراحل التعليم المختلفة، أي بواقع مائة مدرسة كل سنة.

وبذلك لحقت المملكة بكل من سبقها بل تفوقت على الكثير ممن سبقوها، وأصبح فيها الآن نهضة علمية تعتبر معجزة إذا نظر إلى العوائق الكثيرة التي كانت قائمة والتي من أهمها اتساع رقعة المملكة وتباعد مدنها وقراها بمسافات شاسعة.

ومع ذلك تحققت بفضل الله ثم بهمم العاملين في حق التعليم وعلى رأسهم الوزير العالم الأديب والدعوب الطموح معالي الشيخ حسن ابن عبد الله آل الشيخ أمده الله بعونه[1]، أقول تحققت أكبر عملية بناء علمي في هذا العصر، وعمت المدارس كل قرى المملكة من أقصاها إلى أقصاها، وأصبحت فرصة التعليم متاحة لكل المواطنين.

---

(١) هو حسن بن عبدالله آل الشيخ، ولد في المدينة النبوية، وتخرج من كلية الشريعة بمكة المكرمة عام ١٣٧٣هـ وشغل عدداً من المناصب الحكومية، منها وزارة المعارف. ثم أصبح وزيراً للتعليم العالي منذ إنشائها، وبقي فيها وزيراً حتى وفاته رحمه الله تعالى عام ١٤٠٧هـ . انظر مشكوراً: تتمة الأعلام للزركلي" لمحمد خير رمضان يوسف : (١٣٣/١).

والآن لا يوجد إلا تعليم ابتدائي واحد تدرس فيه كل المواد الدينيــة من عقيدة وفقه وغيرهما، ولا يوجد كــذلك إلا مرحلــة متوســطة واحدة.

وأما المرحلة الثانوية فرغم انقسامها إلى معاهــد ومــدارس فهــي متقاربة المناهج، لاسيما بعدما أدخلت العلوم الحديثة على المعاهد.

وعلى كل حال فإن هذه الثنائية التي يزعمها الدكتور لــو وجــدت فرضاً لم تكن على حساب الدين أبداً، ولم يكن الغــرض منهــا أن يكون للسلطة الرسمية فريق من الطلبة وللوهابية فريق، كمــا كــان يحصل في البلاد التي منيت بالاستعمار.

ولكن كان لذلك ظروف وأسباب اقتضت هذا الوضع مع ولاء الكــل للحركة الوهابية وللبيت السعودي، فلا فرقة ولا ازدواج.

ثم يقول سعادته:" وهناك انفصالية أخرى في دائرة التعليم النظــري نفسه بين هذه التعاليم والثقافة الإنسانية".

وهذه الانفصالية أيضاً من بنات خيال الدكتور.

فإن الثقافة الإنسانية بكل فروعها من تربية وعلم نفــس وجغرافيــا وتاريخ وغيرها، تدرس الآن بالمدارس والمعاهد والكليات السعودية.

ويوجد بمكة المكرمة كلية خاصة للتربيــة تابعــة لجامعــة الملــك عبدالعزيز[1].

---

(١) كلام الشيخ محمد خليل هراس رحمه الله تعالى هذا عام ١٣٩٢هـ، سنة الرد على الدكتور محمد البهي رحمه الله تعالى. وإلا فالأمر كما قلت سابقا، أنه يوجد في المملكة العربية السعودية ثلاثة عشر جامعة، وكل جامعة تتضمن عشرات الكليات بمختلف التخصصات الشرعية والعلمية والمعرفية.

بل إنه ليوجد الآن في السعودية من الأساتذة المتخصصين في كـل فروع الثقافة الإنسانية ما لا يكاد يوجد في أي بلد إسلامي آخر.

والمملكة – حرسها الله ووقاها شر الحاقدين- لا تبخـل فـي هـذه السبيل بشيء من المال، بل تنفق بسخاء في استقدام أقوى الأسـاتذة وأكفأ المدرسين.

كما أنه يوجد عشرات بل مئات من أبناء المملكة في جامعات أوربا وأمريكا يحضرون للدكتوراه في كل فروع المعرفة، فضلاً على من تخرج منهم واشتغل بالتدريس أو الإدارة في جامعاتها وهم يعـدون بالعشرات أيضاً.

ولن يمر وقت طويل حتى تسد المملكة حاجتها مـن ذوي الرتـب الجامعية العالية بـل وتصـدر لغيرهـا مـن شـقيقاتها العربيـة والإسلامية[١].

(١) بل إنها صدرت ولله الحمد والمنة عشرات الأساتذة الزائرين، لبعض الجامعات الأمريكية والأوروبية دكاترة معلمين.

الوهابية آخذة بكل أسباب الحياة:

ثم يقول سعادته: " وإذاً تعاليم المــذهب الوهــابي كتعــاليم الــدين الإسلامي في أي بلد إسلامي آخر في عزلة عن الحياة وعزلة عــن التعليم العام.

وليس هناك أثر علمي لميزة التآخي بين الدعوة والســلطة لا فــي مجال التطبيق ولا في مجال التعليم العام[1].

ويظهر أن الدكتور أراد أن يلخص رأيه في الوهابية بهــذا الــنص الذي ليس مسك ختام، والذي لا يعقل أن يكون صدر أبداً عن نفــس متجردة من الهوى والغرض.

ونسأل الدكتور البليغ عن هذا التشبيه في قوله:" إن المذهب الوهابي كتعاليم الدين الإسلامي" فهل للمذهب الوهابي تعاليم غير تعاليم الدين الإسلامي حتى يصح ذلك التشبيه؟

أم يريد أن يقول: إن حظ المذهب الوهابي من تعاليم الدين كحظ أي بلد إسلامي آخر، ثم يرمي الجميع بالعزلة عن الحياة والعزلة عــن التعليم العام.

ونحن لا نسلم له أولاً أن حظ الوهابية من الدين كحظ غيرها مــن البلاد الإسلامية، فشتان بين حركة قامت لتصفية الدين من الشوائب والأكدار الدخيلة، وبين مذاهب منحرفة لم تعرف الدين إلا من خلال آراء مستحدثة وفلسفات دخيلة.

(١) انظر مشكورا: الفكر الإسلامي في تطوره ص ٩٠ .

ولا نسلم له ثانياً بأن الوهابية في عزلة عن الحياة بل هي آخذة بكل أسباب الحياة، كما أنها مصدر حياة الملايين المؤمنين بها ولا يرون الحياة الحقة إلا في ظلها.

وأما إن أراد بالحياة حياة الغرائز الدنيا، والمتع الرخيصة، والتمـــدن الكاذب الذي تردت فيه كثير من بلاد الإسلام، فإن الوهابيـــة تربـــأ بنفسها وبأهلها عن مثل تلك الحياة.

ولا نسلم له ثالثاً أن الوهابية في عزلة عن التعليم العام، بل هي تأخذ بكل علم نافع وتلتقط الحكمة أنى وجدتها.

الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل:

وبعد فهذا مقال الدكتور محمد البهي عن الوهابية:

ويؤسفني أن أقول إنه لم يصب ولم يوفق في شيء مما قاله، وإنمـــا كان يبدو مدفوعاً إلى كتابته، وكان التحامل هو الطابع العام للمقـــال من أوله إلى آخره.

ولقد أساء الدكتور بهذا المقال إلى نفسه أولاً حيث ورطها في أخطاء ظاهرة الشناعة، ثم أساء إلى الحقيقة في نفسها حيث ظلمها وتجنـــى عليها.

فهل للدكتور – في ضوء تعقيبنا على مقاله– أن يراجع نفسه ويرجع عما قاله عملاً بالمثل القائل إن الرجوع إلى الحق خير من التمـــادي في الباطل، هذا ما نرجوه.

والله نسأل أن يهدينا جميعاً سبيل الحق والإنصاف، وأن يعيذنا مـــن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، إنه ولي التوفيق.

د. محمد خليل هراس

رئيس قسم العقيدة بالدراسات العليا

بكلية الشريعة بمكة المكرمة

وقف السلام في سطور

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وقف السلام الخيري من الأوقاف الخيرية التي تعنى بالقيام بمشاريع خيرية متنوعة تشمل:

- بناء الأوقاف وإدارتها.
- بناء المساجد والصرف عليها.
- مشاريع الصدقة الجارية.
- مغسلة الإحسان للأموات.
- إقامة الدورات العلمية.
- دعم حلقات التحفيظ.
- طباعة الكتب والنشرات الدعوية.
- كفالة الدعاة.
- العناية بدعوة المرأة.
- العناية بالطفل المسلم.
- الدعوة إلى الله عن طريق الدروس والمحاضرات والأشرطة وشبكة الإنترنت.
- إنشاء البرامج التأهيلية.

تنبيه:

- تُدار أموال الوقف من قبل مجلس النظارة بحسب الشروط الشرعية، كما يصرف من هذه الأموال على ما تستلزمه المناشط من مصاريف إدارية وفنية.

صفحة الملتقى

الملتقى الأول لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الحقيقة والمنهج والأثر ورد الافتراءات

تظاهرة علمية قيّمة شارك فيها عدد من كبار العلماء وأساتذة الجامعات وأقيم في الفترة من ٨/ ١/ ١٤٢٥هـ - ٢١/ ١/ ١٤٢٥هـ، واشتمل على أربع عشرة محاضرة هي:

١- **الإمام محمد بن عبد الوهاب حياته وآثاره**، لسماحة الشيخ عبد العزيز ابن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة ورئيس هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء حفظه الله ووفقه.

٢- **منهج أئمة الدعوة في بيان العبادة وأنواعها**، لفضيلة الشيخ عبد الله ابن إبراهيم القرعاوي إمام وخطيب الجامع الكبير ببريدة.

٣- **حال الجزيرة العربية قبل الدعوة وأثر الدعوة في الداخل والخارج**، لمعالي الدكتور صالح بن عبد الله العبود مدير الجامعة الإسلامية.

٤- **منهج أئمة الدعوة في العقيدة**، لفضيلة الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع رئيس قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية.

٥- **منهج أئمة الدعوة في الدعوة إلى الله ﷻ**، لمعالي الشيخ صالح ابن عبد العزيز آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

٦- **لقاء مفتوح**، لمعالي الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الغديان عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء.

٧- **منهج أئمة الدعوة في مسائل التوسل والاستقامة**، لفضيلة الشيخ أحمد ابن يحيى النجمي.

٨- منهج أئمة الدعوة في مسائل النبوة والصحابة والولاية، لفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية.

٩- منهج أئمة الدعوة في الحديث، لفضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز ابن محمد السعيد رئيس قسم السنة بجامعة الإمام.

١٠- منهج أئمة الدعوة في الفقه، لفضيلة الشيخ صلاح بن محمد آل الشيخ إمام وخطيب جامع الأمير بندر بن محمد آل سعود.

١١- منهج أئمة الدعوة في السياسة الشرعية، لمعالي الشيخ صالح بن محمد اللحيدان رئيس مجلس القضاء الأعلى وعضو هيئة كبار العلماء.

١٢- منهج أئمة الدعوة في مسائل التكفير والخروج، لمعالي الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

١٣- منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب، لفضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد نائب مدير الجامعة الإسلامية سابقاً.

١٤- وصية في الاعتصام بالكتاب والسنة، لفضيلة الدكتور علي ابن عبد الرحمن الحذيفي إمام وخطيب المسجد النبوي وعضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية.

يمكنكم الإطلاع على فكرة الملتقى وأهدافه والألبوم المسجل على موقعنا:

www.assalam.ws

كما ستطبع نصوص المحاضرات قريباً بإذن الله

راسلونا على البريد:

info@assalam.ws

المكتبة السمعية

المكتبة السمعية التابعة لوقف السلام الخيري تعنى بجمع دروس كبار أهل العلم ومعالجتها وإعادة إصدارها لتخرج بالشكل اللائق بعلمهم وحقهم، كما تهتم بتسجيل وإصدار الدروس العلمية التي تقام في جامع إمام الدعوة، وتم بحمد الله إلى الآن إصدار شروح الكتب التالية:

١- شرح كتاب التوحيد لصاحب الفضيلة العلامة عبد الله بن محمد ابن حميد رحمه الله.

٢- شرح كشف الشبهات، والأصول الثلاثة، والقواعد الأربع، لمعالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان.

٣- شرح العقيدة الواسطية، لمعالي الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان.

٤- شرح الأصول الثلاثة، والأصول الستة، والقواعد الأربع، وكشف الشبهات، ولامية شيخ الإسلام، لفضيلة الشيخ الدكتور فهد بن سليمان الفهيد.

٥- محاضرات الملتقى الأول لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

٦- شرح الحائية وعقيدة ابن أبي زيد القيرواني، لفضيلة الشيخ علي ابن صالح المري.

٧- شرح فضل الإسلام، لفضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز بن محمد السعيد.

يمكنكم الاطلاع على هذه الإصدارات ومعرفة أسعارها وشروط الإهداء المجاني وتعبئة النموذج الخاص في موقعنا:-

www.assalam.ws

أو راسلونا على البريد info@assalam.ws

الإصدارات العلمية

*** صدر بحمد الله ضمن سلسلة الإصدارات العلمية من الكتب المحكمة:**

١- كتاب الأجوبة عن المسائل المستغربة، للحافظ ابن عبد البر، رسالة ماجستير بجامعة الجزائر، تحقيق الشيخ عبد الخالق بن محمد ماضي، تقديم فضيلة الدكتور محمد بن عمر بازمول.

٢- منهج الإمام أحمد في إعلال الأحاديث، رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية لفضيلة الدكتور بشير علي عمر.

٣- الروايات التفسيرية في فتح الباري، رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية لفضيلة الدكتور عبد المجيد الشيخ عبد الباري.

*** وسيصدر قريباً بإذن الله ضمن سلسلة الإصدارات العلمية من الكتب المحكمة:**

١- محاضرات الملتقى الأول لدعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب الحقيقة والمنهج والأثر ورد الافتراءات.

٢- المرويات الموقوفة المسندة للخلفاء الراشدين الثلاثة الأُوَل وبقية العشرة في التفسير، جمع ودراسة وتخريج، من أول القرآن إلى نهاية سورة طه، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، لفضيلة الدكتور فيصل بن عابد اللحياني.

٣- الأحاديث النبوية التي استُدِلَّ بها على الإعجاز العلمي في الإنسان والأرض والفلك، رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية لفضيلة الدكتور أحمد بن حسن الحارثي.

٤- الاستغفار في الكتاب والسنة والرّد على المفاهيم الخاطئة فيه، رسالة دكتوراه بالجامعة الإسلامية لفضيلة الدكتور حياة بن محمد جبريل.

ويسرنا أن نعلن لعموم العلماء وطلبة العلم والباحثين بإننا نسعد بتلقي إنتاجهم العلمي، فنأمل منهم التواصل مع فضيلة المشرف العام على العنوان التالي:

Almushref@assalam.ws